الطبعة الثالثة

كيف نواجه العصر

تأليف
ممدوح شفيق

تقديم
الأنبا موسى

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
كنيسة الشهيد العظيم مارمينا العجايبي
بفم الخليج

كيف نواجه العصر

تقديم
نيافة الأنبا موسى
الأسقف العام للشباب

تأليف
ممـدوح شـفيق

كيف نواجه العصر

المؤلف: ممدوح شفيق عبده
الناشر: كنيسة الشهيد العظيم مارمينا العجائبي الأثرية بفم الخليج
الطبعة : الأولى (١٩٩١)
الثانية - منقحة ومزيدة (٢٠٠٤)
الثالثة - إعادة طبع (٢٠١٥)
تحرير النص: تامر ممدوح شفيق
تصميم وتصوير الغلاف: م. ماركو ماكسيموس marco.maximus90@gmail.com

© حقوق الطبع محفوظة لورثة المؤلف، ولا يجوز بأي صورة من الصور، التوصيل المباشر أو غير المباشر الكلي أو الجزئي لأي مما ورد في هذا المصنف أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه أو تحويله رقميا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من ورثة المؤلف.

صاحب القداسة البابا

الأنبا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

إهــــــداء

إلى أولئك الذين أمسكوا بيدي في
طريق المعرفة والحياة المسيحية

إلى روح المتنيح

الأنبــا بيــــــمن

أسقف ملوي

الذي علمني كيف يكون الفكر حراً طليقاً متجدداً فاعلاً

إلى روح المتنيح

القس فيلبس جورجي

كاهن الكنيسة المعلقة

الذي علمني أن أرى في الناس ما لا يرونه في أنفسهم من صلاح

إلى روح المتنيح

الأستاذ فوزي مسعد

أمين بيت مدارس الأحد بمصر القديمة

الذي علمني أنه بصلاة الإيمان وجدية الخدمة تتحرك الجبال فعلاً

تقـــديم

لحضرة صاحب النيافة

الأنبـا موسـى

الأسقف العام للشباب

في هذه الصفحات محاولة حية للتفكير في ثلاثة أسئلة هامة وخطيرة:

كيف نتعلم ونعلم الآخرين؟

كيف نفكر؟

كيف نواجه العصر؟

ولا شك أننا في حاجة ماسة إلى إجابة شافية لهذه الأسئلة الجوهرية، من خلالها نصل إلى المخدومين، وإلى الخدمة المؤثرة الفعالة، وإلى مستقبل أفضل للعمل الكنسي المقدس. ولقد حاول المهندس ممدوح شفيق، أن يجيب على هذه الأسئلة، اسهاماً منه، ولكن - من معرفتي الشخصية له - أعرف أنه يتمنى المزيد من النقد البناء، والدراسات الجادة الهادفة نحو خدمة أفضل.

كيف نتعلم؟

واجه المؤلف هذا السؤال منتقداً ركوننا إلى التعليم السماعي دون دراسة وتأصيل، وداعياً إيانا لدراسة الرأي بغض النظر عن قائله، ومشجعاً على الحوار والتكامل، من أجل تصحيح مفاهيمنا عن الطاعة، العقل والنقل، الفضيلة والضرورة، الجنس والعاطفة، التربية الفردية، الانتماء، والنظرة السليمة إلى التاريخ.

كيف نفكر؟

في هذا الباب يقدم لنا المؤلف ما يرى إنه الفكر المسيحي حول الغربة عن العالم وكيف أنها لا تتناقض مع الحياة اليومية، وأنه لا صراع بين الروح والجسد داخل الإنسان بل أن الصراع يكمن بين تيار الخير وتيار الشر داخل الكيان الإنساني المتحد. ماذا عن الفكر والعاطفة؟ والروحانية الرومانسية؟ والغيبيات التي تدعونا إلى استقالة العقل والإرادة وليست من الإيمان في شيء؟ وما صلة الإيمان بالعلم؟ وضرورة الإيمان بالعلم كوسيلة يجب تعميدها واستثمارها في الخدمة؟

كيف نواجه العصر؟

يرى المؤلف أن العلم هو السمة الأساسية لهذا العصر، ومن ثم يدعونا إلى الاستفادة القصوى من المنجزات العلمية في خدمة المسيح. فمثلا يدعونا إلى اعتماد المنهج العلمي، والاستعانة بمعطيات الإدارة الحديثة، واستخدام فن المعلومات، وامكانيات الاتصالات المبهرة، من أجل تقديم خدمة كنسية أفضل.

كما أنه يحفزنا نحو العمل الجماعي المنسق، والذي بالقطع هو جوهر الحياة الكنسية، لأن الكنيسة جماعة مؤمنة بالمسيح وليست أفراداً متناثرين بل جسد واحد. كما ينادينا أن نربي شبابنا تربية تجعله قادراً على مواجهة حاجاته المادية والاقتصادية. أما الثقافة فهي ليست كما من المعلومات، بل استيعاباً لها من أجل حياة أفضل، أملاً في مستقبل أكثر إشراقاً، فكنيستنا تستوعب ماضيها وتراثها، لكي تحيا حاضراً مقدساً، ومستقبلاً حياً بنعمة الله.

جهدٌ طيب، الرب يعوض كاتبه عنه، ونحن في انتظار المزيد منه ومن غيره، أملاً في عمل شبابي وكنسي أكثر فاعلية وانتشاراً، بصلوات قداسة البابا شنوده الثالث بطريركنا المحبوب.

الأنبا موسى
الأسقف العام للشباب

تمهيـــــــد

حين كتبت هذا الكتاب كان دافعي هو أن هناك شيئاً ما ينقص خدمة الشباب، فمن الظاهر لكل الخدام قلة من ينتظمون من الشباب في حضور اللقاءات الروحية وقلة من يشاركون في النشاطات الكنسية من هؤلاء. وقد لاقت الطبعة الأولى استقبالاً تراوح بين التحمس إلى الرفض، ولكن كان واضحا الاحتياج إلى هذا الفكر حتى أنه ما أن صدر الكتاب حتى نفذت منه عشرة آلاف نسخة في وقت قصير.

لقد كنا ومازلنا نواجه شعوراً عاماً لدى شباب كثيرين بأن ما نقدمه لهم غير صالح للحياة العملية، فمازلنا لسنوات نواجه نفس الأسئلة حول إمكانية تنفيذ وصايا المسيح وعن جدوى وصية مثل: من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً.

ومن السهل أن نرجع هذا إلى الظروف: من حيث انتشار الموجة الاستهلاكية، وانخفاض الثقافة الدينية، وازدياد الإباحية، وضعف التربية والتعليم، واهتزاز القيم العامة، والتأثير السلبي لوسائل الإعلام والإنترنت. ولكن كل هذا مردود عليه بأن هذه النسبة الضعيفة لتواجد الشباب في الكنيسة كما هي منذ أكثر من أربعين عاما.

إن خادم الشباب إذا أراد أن يكون صادقاً مع نفسه، عليه ألا يفترض التقصير في الشباب باستمرار، بل علينا أن نسأل أنفسنا: **كيف نربي أولادنا وبناتنا وما هو أسلوب خدمتنا لهم، وما مدى فاعلية أسلوب الخدمة وملاءمته لظروف العصر؟**

وخلال السنوات الماضية شاء الرب أن يتيح لي فرصة اللقاء والحوار مع أعداد كبيرة من الشباب وخدام الشباب من العريش إلى الإسكندرية ومن بورسعيد إلى أسوان، مما زودني بذخيرة عظيمة من الإلمام بأحلامهم وآلامهم.

لذا وجدت أنه من المناسب صدور طبعة ثانية الآن بعد أن أضفت إليها الكثير حتى أن حجم الكتاب قد تضاعف، كما رأيت أن أزيد عدداً من المقالات والدراسات التي نشر بعضها في مجلات أسقفية الشباب، وأكثرها لم يسبق نشره، وقد وضعت علامة (*) أمام الفصول التي لم يسبق نشرها في الطبعة الأولى.

إنها مجرد محاولة للإجابة، وهي محاولة صريحة، بل صريحة جدا!

محتويات الكتاب

الباب الأول : كيف نتعلم ونعلم

١١ التعليم السماعي
١٣ الرأي وصاحب الرأي
١٥ أحادية الرأي
١٦ الطاعة
٢٠ العقل والنقل
٢٣ الفضيلة والضرورة
٢٦ العاطفة والجنس
٢٩ التربية الفردية
٣٢ الانتماء
٣٤ النظرة إلى التاريخ*

الباب الثاني : كيف نفكر

٣٩ الغربة عن العالم
٤٣ الروح والجسد
٤٦ الشكل والجوهر*
٤٨ الفكر والعاطفة
٥١ الروحنة الحالمة
٥٤ الغيبيات
٥٩ الإيمان أم العلم
٦٦ قيمة الحياة*

الباب الثالث : كيف نواجه العصر

٨٢ البحث العلمي
٨٤ فن المعلومات
٨٧ الاتصال والإعلام
٨٩ الإدارة الحديثة
٩٢ العمل الجماعي
٩٦ الثقافة العامة
٩٧ البناء الثقافي للشخصية*
٧٤ المشكلة الاقتصادية
٧٦ القضية الطائفية*
٧٩ التراث والمستقبل
٨١ أسلوب التعليم المؤثر*
٨٦ الأساس اللاهوتي للأنشطة*
٩٠ التعليم والتربية في الكنيسة*
٩٦ الفلسفة العامة للبرنامج*

كيف نتعلم؟

كيف نُعلِّم؟

التعليم السماعي
الرأي وصاحب الرأي
أحادية الرأي
الطاعة
العقل والنقل
الفضيلة والضرورة
العاطفة والجنس
التربية الفردية
الهوية والانتماء
النظرة إلى التاريخ

١ـ التعليم السماعي

منذ فترة طويلة وعلى اتساع أغلب أبرشيات الكرازة يطرح الشباب أسئلة تتكرر حول العقائد الأساسية في المسيحية: عن سر الثالوث والتجسد، عن الفداء وأسرار الكنيسة، عن بنوة المسيح للآب وبنوتنا نحن لله، ويجد الخدام أنفسهم في مأزق حقيقي ! فقد تعودنا على شرح الثالوث من خلال فكرة الأقانيم كما تعلمناها: الذات، والعقل ، والحياة ... وهنا **واجهتنا مشكلة تقديم هذه العقيدة إلى شباب منهم من لم تتح له الفرصة الكافية للتعليم أو الثقافة** .. ثم كيف نجيب على سؤال يقول: آمنًا وصدقنا بأن الله واحدٌ مثلث الاقانيم، ولكن ما فاعلية هذا الإيمان في حياتي أو نفعه في تعاملاتي مع الناس ؟[١] وبالطبع توجد إجابات على هذه الأسئلة، ولكن ما اكتشفناه في أنفسنا كان: إننا قد تعلمنا هذه الأشياء وحفظناها دون فهم حقيقي ولفت هذا أنظارنا إلى **أن أموراً كثيرة نتعلمها بالسماع دون أن نعيها وعياً أصيلاً.**

أعلم أن هذا الكلام قد يكون صدمةً لكثيرين، ولكن لنأخذ مثالاً : في قصة المرأة التي أمسكت في حالة تلبس، وعندما قدمت إلى الرب ليحكم عليها، انحنى على الأرض يكتب. ترى ماذا كان يكتب؟ الشائع أنه كان يكتب خطايا اليهود الذين اتهموا المرأة وأنهم ما أن رأوا خطاياهم مكتوبة حتى انصرفوا واحداً وراء الآخر، ولكن الإنجيل لا يذكر هذا، وإنما يذكر أنهم لم يبدأوا في الانصراف، إلا بعد أن واجههم يسوع بقوله الشهير "من منكم بلا خطيئة فليرجمها أولاً بحجر - يو ٨: ٦". ترى من أين جاءت تلك المعلومة التي تتردد باستمرار؟ ... لقد بحثت حتى وجدتها.. فهل تعلمون أين؟! .. في الكتاب المزيف والمسمى زوراً "إنجيل برنابا"[٢].

ولعل بعضنا قد سمع القصة المنسوبة إلى اللص اليمين، أنه قطع الطريق ذات يوم على العائلة المقدسة وهي في طريق هروبها إلى مصر وأن المسيح الطفل تحدث إليه بكلام أدى إلى انصرافه عنهم ومعاملتهم باحترام، وأن اللص قد تذكر هذا الموقف وهو على الصليب إلى

---

[١] الثالوث القدوس جوهر واحد وثلاثة أقانيم، وعندما يستوعب المسيحي سر الثالوث يعيش قبول الآخر رغم تنوع المواهب والميول والظروف، كما يعيش التكامل الداخلي بين احتياجاته الروحية والنفسية والجسدية والفكرية دون صراع وهو ما لا يتحقق إلا بعمل الروح القدس داخل النفس من خلال أسرار الكنيسة المقدسة.

[٢] الناشر : دار القلم – الكويت – الطبعة الثانية ١٩٨٣ - الفصل ٢٠١ .

جوار رب المجد. ولكن لا يوجد أي دليل على هذا الكلام فهي مجرد "حدوتة" تروى لا أصل لها. ولعل القارئ لمشاهد الصلب من الأناجيل سيرى بوضوح أن اللصين كانا في البداية يجدفان معاً على المسيح، ثم تحول اللص اليمين إلى موقفه المعروف عندما طلب من رب المجد أن يذكره متى أتى في ملكوته. والعجيب أن البعض يؤكدون على أن هذه القصة واردة في السنكسار مما اضطرني للبحث في السنكسار كله ... ولم أجدها !

الخلاصة أن معلومات كثيرة يتم تداولها على ألسنة الوعاظ، وإذ قد تعود الناس على أن يتعلموا بالسماع دون تأصيل للمعلومات أو المفاهيم. فسرعان ما تنتشر هذه الأمور وتصبح أخطاء شائعة.

يذكرنا هذا بكتبة اليهود الذين كانوا يحفظون الشريعة والناموس والكتب، بل ويجتازون امتحاناً حتى يؤذن لهم بالتعليم، ورغم هذا لم يستطيعوا الإجابة على سؤال رب المجد لهم حول كلمات المزمور " قال الرب لربي " (مز ١١٠ :١ + مت ٢٢ :٤٤) ... كيف هذا؟! كل هذه المئات من السنين، ولم يتساءل أحد قط: كيف يكون المسيح ابناً لداود، ورباً لداود في نفس الوقت؟! .. لقد كانت مشكلتهم أن المطلوب كان الحفظ وليس الفهم. وفي إنجيل الراعي الصالح (يو ١٠) تعود أكثر الخدام على تفسير الحظيرة بأنها الكنيسة، ولكن قراءة النص توضح أن الراعي سيأخذ الخراف ويخرج بهم من الحظيرة، فكيف يمكن أن تكون الكنيسة هي الحظيرة؟ ولكنني كمعلم أردد ما أسمعه دون تدقيق. **إن خطورة التعليم بالسماع في أنه يؤدي إلى تعود الناس على عدم التفكير وعدم البحث وبهذا يتسلمون الأمور الأساسية في كنيستهم بالنقل دون العقل**، وبديهي أن من يتلقى الفكرة بالتلقين لا يتفاعل معها. ولكن هذه القضية لها جانب أخر أيضاً .

٢ـ الـرأي وصاحب الـرأي

مادام التعليم بالسماع دون البحث، وبالنقل دون العقل، وبالتلقين دون الحوار.. **تصبح قيمة المعلومة مستمدة من شخص قائلها وليس من صحة محتواها.** وما أسهل أن نردد أية آراء ثم نقول إن هذا هو رأي الآباء، دون بحث أو تأصيل للفكر الذي يطرح للناس... أكاد أسمع البعض يقولون " غير معقول ! "، وهو فعلاً غير معقول، ولكن هذا هو العرف الجاري ! قل ما تشاء ثم اسنده إلى ذهبي الفم أو أغسطينوس أو جيروم أو يوستينوس أو كبريانوس، فمن يجرؤ عندئذ أن يناقشك؟!

وذات مرة استمعت إلى واعظ يشرح جزءاً من سفر أشعياء عن أرض مصر (أش ١٩ : ٦، ١٠) وإذ به يفسر "وتجف سواقي مصر" بالآثار الضارة للسد العالي !! وهو ما تردد في بلادنا لفترة من الزمن، وحين وصل إلى قوله "كل العاملين بالأجرة مكتئبين النفس .." قال بثقة: طبعاً .. فأكثر الناس تعباً هذه الأيام هم الموظفون !.. ترى ماذا يقول هذا الواعظ اليوم؟ بعد أن تأكد للجميع أن السد العالي هو الذي أنقذ مصر من المجاعة وقت الفيضان المنخفض، ومن الغرق وقت الفيضان الكاسح، وبعد أن أصبحت الوظيفة الحكومية حلماً لشباب كثيرين.

إن خطورة هذا المنهج - التعليم بالسماع - وبناء صحة المعلومة على شخص قائلها تكمن في أنه يؤدي إلى انعدام الحوار تماماً، وهو أمر لم يفعله السيد المسيح أبداً، فما أكثر محاوراته مع تلاميذه ومحبيه، بل ومع أعدائه ومعارضيه.

أتى كتبة اليهود يسألون رب المجد: بأي سلطان تفعل هذا (مت ٢١: ٣)، أي من أعطاك الإذن بالتعليم. لم يناقشوه في محتوى تعاليمه، ولم ينتبهوا إلى القوة الفعالة في كلماته، ولم يلتفتوا حتى إلى آياته ومعجزاته (يوحنا ١٤: ١١)، **ولكنهم تناولوا المسألة من زاوية شخصية وليس من زاوية موضوعية.** والحق أن هذا مرضٌ تفشى في بلادنا، وهو أنني ما دمت أرفضك شخصياً فأنا أرفض آراءك بغض النظر عن محتواها، وما دمت أقبلك شخصياً أعضد كل مواقفك بغض النظر عن محتواها. وأي ألم يشعر به المتأمل في أحوالنا وهو يرى الناس يصفقون لكلام لا يقبله عقل، ولكنه صادر ممن يحتل مقام الرضا عند العامة. وليس ببعيد حين صفقوا لمن قال على الملأ أنه سجد لله شكراً حين ألمت ببلادنا الهزيمة، وحين لم تخلُ

أسرة من مأتم، لأن الهزيمة -كما يرى- ستدفعنا إلى اللجوء إلى الله. ولو كان هذا صحيحاً لكان سبب الهزيمة هو أن أعداء الوطن كانوا على صلة قوية بالله! ولكن المسألة أن الذي استعد جيداً للحرب هو الذي انتصر .. ولكن لمن تقول هذا وكيف تجرؤ أن تعارض وقد وضع الناس عقولهم جانباً!

كان أسلوب السيد المسيح في التعليم هو الحوار، وهو سيد الأساليب، فبه يتحرك الفكر وتتضح الخفايا، ويستوعب الناس المضمون دون شكوك، فقد طرحوا اعتراضاتهم وناقشوها. والحوار هو الضمان ضد انتشار أي فكر بلا أساس أو أية معلومات بلا أصل، **وهو السبيل إلى أن ينظر الناس إلى المضمون وليس إلى القائل، وروح الله قادر أن يعمل في الكنيسة ويرشدها إلى الرأي السليم.**

الخلاصة إذن هي:

١. **تأصيل وتحقيق ما ينسب إلى الآباء من فكر عقيدي أو منهج روحي، بمعنى التأكد من مصدره ومحتواه.**
٢. **المناقشة الحرة البناءة لكل رأي بغض النظر عن صاحبه.**
٣. **عدم بناء صحة الرأي على مكانة من ينسب إليه**، وإلا لكانت الكنيسة قديماً خضعت لآراء نسطور[٣] الخاطئة لمجرد أنه كان بطريركاً لعاصمة الإمبراطورية.

بقي أن ننبه إلى أن: الخط الفاصل بين الحوار البناء والجدل المميت هو روح المحبة واختفاء كل وجهة نظر نفعية أو ذاتية واستبعاد الأنا خارج دائرة الحوار.

---

[٣] جدير بالذكر هنا أن أغلب الآراء المنحرفة عن العقيدة السليمة قد خرجت من أناس مرموقين في الوسط الكنسي في عصور مختلفة والأمثلة عديدة، فقد كان أريوس قساً مرموقاً، أما أوطاخي فكان أرشمندريت أي رئيساً لدير، وكان بولس الساموساطي أسقفاً بينما يزعم النقولاويون أنهم أتباع نيقولاوس أحد الشمامسة المختارين (أع ٦: ١-٦) .. وكلهم خرجوا بهرطقات أتعبت الكنيسة زماناً طويلاً.

٣ـ أحـادية الـرأي

إن أسلوب التلقين وربط الرأي بصاحبه، يجعل الناس يطلبون في كل مسألة رأياً واحداً بينما توجد أمور من الممكن أن يكون فيها أكثر من رأي وكلها سليمة. ولعلنا نذكر القصة الواردة في بستان الرهبان [٤] عن راهبين عادا إلى الدير - بعد فترة ابتعاد - ليتلقيا تدريباً للتوبة والاعتكاف لمدة عام في نهايته ظهر أحدهما نحيفاً سقيماً عابس الوجه، بينما بدا الثاني ممتلئاً مبتهجاً باسم الطلعة، وإذ تحير الشيوخ في أمرهما، قال الأول أنه كان كل يوم يذكر خطاياه، والعذاب المعد للأشرار، بينما قال الثاني أنه كان يشكر الله كل يوم إذ أتاح له فرصة التوبة .. وتأكد الشيوخ أن توبة كليهما مقبولة أمام الله. وفي البستان أيضاً نقرأ عن شخص جاء إلى برية شيهيت لينتفع بزيارة الآباء، وبينما جلس معه القديس أرسانيوس دون كلام، استقبله القديس موسى الأسود بترحاب وأجابه على كل ما رغب في معرفته، وهنا أيضاً تأكد أن الأسلوبين مقبولان. لو طرحت هذه القصة الآن لتساءل الشباب: ما هو الأسلوب الصحيح؟.. هذا أم ذاك؟! ويتكرر كثيرا في الاجتماعات الروحية، عقب مناقشة بعض المسائل مثل الزواج والبتولية ... الخدمة والرهبنة .. أن يطلب الشباب الرأي النهائي (آخر كلام!)، بينما من الواضح أن تشبيه القديس بولس للكنيسة بالجسد يعني تنوع الوظائف للأعضاء دون تمزيق الوحدة.

كيف نتصور أن شبابنا سيقبلون باهتمام على الاجتماعات الروحية، والمطلوب منهم، دائماً وأبداً، أن يكونوا مستمعين ؟! وكيف يمكن أن يتكون جسد واحد من أعضاء متطابقة تقوم كلها بنفس العمل، وتردد نفس الرأي (لو كان جميعها عضواً واحداً أين الجسد -١ كو ١٢ : ١٩)؟!

إن استيعابنا لفكرة تعدد الآراء في إطار الوحدة سيكون أول ترجمة لسر الثالوث في حياتنا اليومية، حين نستوعب التنوع داخل الجسد الواحد.

[٤] لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف – طبعة ١٩٦٨ – ص ٢٩٨ وص ٤٧ .

٤ـ الطـــاعة

ينقل إلينا كتاب " بستان الرهبان " قصصاً ذات مغزى عميق عن الطاعة منها القصة الشهيرة عن شجرة الطاعة وغيرها، **ولا شك أن الطاعة عمود فقري لحياة الرهبنة، كما أنها منهج ضروري في الحياة الداخلية بصفة عامة**، وفي العلاقة بين كل إنسان ومرشده الروحي بصفة خاصة. **ولكن السؤال هنا عن: نوعية الطاعة، ومجالات الطاعة.**

إن الطبيب له أن يطلب من المريض أن يتناول دواءً محدداً في أوقات محددة، وله أن يقرر على المريض أن يلتزم براحة مقننة بطريقة مقننة، وله أن يفرض على المريض أن يتناول أطعمة معينة بمقادير معينة ... ولكن ليس له أن يلزم المريض بقراءات معينة أو صداقات محددة !! فبديهي أن هذا لا يدخل في مجال اختصاصه أو سلطانه على المريض.

هكذا أيضا المرشد الروحي، إن له مجالاً للعمل، وهو البناء الروحي الداخلي للإنسان، وله أن يطلب من الشباب الطاعة فيما يختص بذلك، مثل مقاومة أفكار البغض والحسد والشهوة والكبرياء .. ومثل ترتيب الصلاة وقراءة الكتاب المقدس والصوم والتقدم إلى التناول، وبالطبع السلوك المرتبط بكل هذا. ولكننا نحمل مرشدينا الروحيين مسئولية القرار في أشياء بعيدة عن المجال الروحي، مثل اختيار التخصص في الدراسة أو جهة العمل أو اختيار شريك الحياة، ولا نكتفي منهم بالتوجيهات العامة مثل: وضع هذه الأمور أمام الله في الصلاة، والتفكير العميق المتأني والإكثار من المشورة، وتنقية الدوافع، وعدم التسرع في اتخاذ القرار ... بل نطلب منهم قراراً محدداً ...

هل أدخل كلية التجارة أم كلية العلوم .. هل أسعى للسفر أم أبحث عن عمل .. هل أتزوج فلاناً أم علاناً .. ؟! وبهذا يصبح على المرشد الروحي أن يكون لديه من الخبرة والمعرفة ما يمكنه أن يكون بمثابة إدارة للقوي العاملة، ومندوب للتجنيد، وباحث اجتماعي، ومكتب للتنسيق !! إن الاستئناس بالرأي أمر مستحب، لكن السلبية وانتظار القرار من فم إنسان آخر إلغاء لإمكانيات الإنسان وعمل النعمة فيه.

إن الناس يفعلون هذا لأنهم تربوا منذ الصغر على عدم اتخاذ قرارات لأنفسهم، بينما من الأفضل جداً للإنسان أن يتعود على التفكير بصوت مرتفع أمام من يثق في مشورتهم، ثم يتخذ القرار المناسب بنفسه.

وأحيانا يتعرض الخادم لمواقف غريبة حين يطلب منه الشباب حلولاً لمشاكلهم، ولست أدري كيف يتوقع الناس من الخادم أن يقدم لهم الحل، وهو يسمع المشكلة من طرف واحد فقط، وهو لا يدري شيئاً عن طبيعة أطراف المشكلة، وحتى لو علم، فمن الأقدر على اقتراح الحل السليم: الخادم الذي يسمع المشكلة لأول مرة، أم الشخص الذي يعيش المشكلة ويدرك ميوله وقدراته ؟! الأفضل هو التفكير المشترك مع من تثق في حكمته وكتمانه، وبه قد يصل الشاب إلى الحل المناسب، والذي لا يجب أن يتوقع أن يقدم إليه بصورة جاهزة.

أتى شخص إلى السيد المسيح يطلب منه أن يقسم الميراث بينه وبين أخوته، فرفض قائلا "يا إنسان من أقامني قاضياً أو مقسماً . لو١٢ : ١٤ " .. أحيانا يطلب منا - نحن الخدام - أن ننصب من أنفسنا قضاة ومحكمين .. وبالطبع يمكن للمرشد الروحي أن يقدم المشورة النابعة من خبرة وتجربة الحياة، ولكن القرار في النهاية ينبغي أن يكون لصاحب القرار فهو صاحب المشكلة وهو أدرى بظروفه، **وهو وحده الذي سيتحمل نتائج القرار.**

وماذا عن الطاعة المطلوبة؟ هل هي طاعة عمياء دون فهم أو تفكير؟!

واضح أن هذه هي الطاعة التي كان الفريسيون يطلبونها من الناس، وهو الأمر الذي رفضه رب المجد يسوع حين فند بقوة حجج اليهود وتعاليمهم واصفاً إياهم بالجهلة والعميان حين يطلبون من الناس الالتزام بأمور لا معني لها[٥].

لقد سئل السيد المسيح: هل ندفع الضريبة لقيصر أم لا؟ (يطلبون أيضا الرأي الواحد) فأجابهم " أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ". وبالطبع يحتاج هذا إلى أن تكون الطاعة، سواء لله أو لقيصر، طاعة مبصرة، أي مدركة واعية، وإلا فكيف يمكن - دون فهم - أن نميز بين ما هو لله وما هو لقيصر؟! (لو٢٠ : ٢٥).

وذات مرة التقيت شاباً وعلمت منه أنه درس في كلية الآداب قسم اللغة اليونانية، ولما سألته لماذا اختار هذا التخصص الذي يضيق أمامه فرصة العمل، هل عن حبٍ للغة اليونانية؟ أجابني أن هذه مشورة مرشده الروحي إذ قال له إن الكنيسة تحتاج إلى هذا التخصص، فعدت أسأله وهل وجد لك المرشد عملاً بعد أن تخرجت؟ صمت الشاب ، وكان صمته أبلغ من الكلام.

---

[٥] راجع بقراءة متأنية حديث السيد المسيح في إنجيل متى ٢٣ .

أتى بعض إليهود إلى القديس بطرس يسألونه، أو بالأحرى يطالبونه: ألا يدفع المعلم ضريبة الهيكل؟ فذهب بطرس إلى يسوع الذي سأله : من ينبغي أن يدفع الأبناء أم الأجانب؟ فأجابه بطرس: الأجانب، فقال يسوع: فإذا البنون أحرار (أي لا ينبغي أن يدفعوا الضريبة)، ولكن لئلا نعثرهم (لئلا يظنوا ظناً خاطئاً) أذهب وأدفع عني وعنك . هنا أيضاً طالب السيد المسيح بطرس بطاعة واعية بعد إيضاح السبب (مت ١٧) .

يقودنا هذا إلى أن الطاعة المطلوبة للمرشد الروحي - في مجال عمله - ينبغي أن تكون عن فهم ووعي. وعندما طلب مني مرشدي الروحي أن أهتم بصلوات الساعات (الأجبية) وإذ سألته : لماذا؟ قدم لي خلاصة اختباره عن الفائدة الحقيقية لهذه الصلوات في بناء النفس. ولا شك أنه لو لم يختبر هذا في حياته، لما استطاع أن يجيب على سؤالي، ولما استطعت أنا أن أتمتع بثمار الطاعة الواعية.

والحق أن هذا منهج أساسي في الحياة الأرثوذكسية **وهو ألا نعلم أو نرشد إلا عن اختبار**، أما أن نقدم عبارات محفوظة للناس، مثل " أسكب قلبك وقدم حياتك " .. وما شابه، فلن يؤدي هذا إلا إلى تزايد اقتناع الشباب بأننا نبيع كلاماً لا نحياه، وإن لم أقدم اختباري عن كيفية " سكب القلب " أو " تقديم الحياة " فالأولى أن أصمت وأطلب من الشاب أن يستقي المعرفة من مصدر مختبر. **وفي رأيي أن هذا لا يقلل أبداً من مكانة الخادم لدى الشباب.**

لقد وصل الأمر إلى ترديد عبارة " **ابن الطاعة تحل عليه البركة**[٦] " بمناسبة ودون مناسبة، حتى أنني شاهدت بعيني في إحدى كنائس الوجه البحري لافتة تقول "**ممنوع نهائياً الكلام والجلوس أثناء القداس ، لا تتكئ على مقعد أو ترخِ قدميك بل قف مستوياً مشدود الركب وبلا تمايل ، وابن الطاعة ..** " ! بينما نقرأ عن القديس الأنبا بيمن حين اشتكى له راهبان أن أخاً يغلبه النوم أثناء التسبحة فقال لهم أفسحوا له المكان ليستريح [٧]. بل وفي أحد المزارات حيث " زير " لمياه الشرب، كتبوا "الرجاء وضع الغطاء على الزير بعد الشرب، وابن الطاعة ... " !

---

[٦] لم أجد هذه العبارة في الكتاب المقدس أو في كتابات الآباء وأعتقد أنها مجرد قول شائع .

[٧] بستان الرهبان – الطبعة السابقة – صفحة ٩٠ .

الخلاصة: أن الطاعة المطلوبة للمرشد الروحي، يجب أن تكون في حدود مجال الإرشاد الروحي، وأن تكون عن وعي وفهم لا يتأتى إلا إذا كان المرشد مختبراً[٨] لمراحل الإرشاد والبناء الروحي الداخلي، قبل تقديم المشورة لمن يطلب الإرشاد الروحي. أما في غير مجال البناء الروحي الداخلي، فيجب أن ندرب أنفسنا، ونربي أولادنا وبناتنا منذ الصغر، على تحمل المسئولية وإتخاذ القرار.

[٨] لهذا وضعت الكنيسة بإرشاد الروح القدس مواصفات خاصة لأب الاعتراف: القمص يوحنا سلامة : اللآلئ النفيسة - ج٢- صفحة ١٧٧ - عن المجموع الصفوي ص ٤٢٦ .

٥ ـ العــقل والنــقل

إن الفهم المسطح لقضية الطاعة يقودنا إلى موقف خطير حقاً، إذ يؤدي إلى تضييق مجال الحوار، وربما إلى انعدام الحوار في مجالات حيوية للغاية، وأهمها العقيدة . إن دراسة العقيدة ليست ترفاً فكرياً، فالسيد المسيح لم يعلن لنا سر الثالوث أو التجسد أو الفداء لكي يبرر ما حدث، إذ ولد من العذراء، وعاش على الأرض وكرز بالملكوت، وصلب ومات وقام من بين الأموات، وصعد إلى السموات وأرسل لنا الروح القدس... ولكنه أعلن لنا الثالوث والتجسد والفداء، لأنها ركائز أساسية لمغزي الوجود وإجابات على أسئلة مصيرية بدونها تفقد الحياة معناها ... أسئلة مثل: من خلقنا؟ وعلى أية صورة؟ ولماذا خلقنا؟ وما العلاقة بين الإنسان وباقي الخليقة؟ ما معنى الوصية؟ وما هي الخطية؟ ولماذا نتألم؟ ولماذا نحيا؟ ولماذا نموت؟ ولماذا يحاسبنا الله؟ وأين نذهب بعد الموت؟ وما دام الله موجوداً لماذا ينجح الأشرار بينما يتألم كثير من الأبرار؟ وما دام الله عادلاً لماذا يوجد فقر وغنى، صحة ومرض، قوة وضعف؟ ..

ولا يستطيع أي مجتمع، بل أي إنسان، أن يمارس حياة سليمة دون إجابات واضحة على هذه الأسئلة، وحين يفهم الناس هذه الأساسيات يترجمونها في حياتهم إلى سلوك وتعامل : كل واحد مع الله، ومع نفسه، ومع الآخرين، ومع المادة والكون المحيط به.

وقد تعلمنا إجابات منذ الصغر، أخذناها في صورة دفاعات أو ردود على اعتراضات، وقليل منها ما هو مطروح في صورة إيجابية، بمعني أنه يقدم التفسير والشرح، وليس مجرد التبرير أو الدفاع، وكانت النتيجة أن غالبية الناس يرددون أن هذه الأمور صعبة، ومن الأفضل عدم الخوض فيها، ولنأخذها بالإيمان، بمعنى التصديق بغير فهم !!

ويقيني أن الله لم يكن ليعلن عن نفسه وعن أسراره للناس، لو لم يكن قد خلقهم قادرين على فهمها، ولو لم يكن لفهمها أثر مباشر على حياتهم وسلوكهم ....

أريد أن أقول أننا قد توقفنا في تناولنا لهذه الأمور عند ما وصل إلينا من أفكار غير محققة المصدر، **وليكن واضحاً أنني لا أعني ما كتبه الآباء القديسون فعلى عكس ما هو شائع بين الناس عن صعوبة فهم العقيدة المسيحية، قدم الآباء الكبار - مثل القديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير والقديس إيرينيوس وغيرهم - شروحاً هي قمة في البساطة**

والدقة والمنهج العملي والأسلوب المنطقي ... ولو كانت هذه الأمور لا يمكن للعقل أن يستوعبها فلمن كتب هؤلاء المعلمون العظام؟ وهنا يجب أن نفرق بين الذات الإلهية divinity وبين التعليم الإلهي theology. أما عن ذات الله الذي يصفه القداس الغريغوري "غير المحوى غير الموصوف غير المنطوق به " فهذه لا يمكن للعقل أن يستوعبها وليس مطلوباً من الإنسان أن يستوعبها، أما التعليم الإلهي فهذا لا يمكن للمسيحي أن يحيا حياة سوية دون فهمه فهماً عميقاً وكاملاً، ولكن الخلط نشأ عن ترجمة التعليم الإلهي بكلمة اللاهوت. **لقد استوعبت الكنيسة الفرق تماماً وأوضحت أن المقصود بـ " اللاهوت " هو التعليم الإلهي** لذا نجد كنيستنا تتحدث عن اللاهوت الطقسي، أي التعليم الإلهي الخاص بالطقوس، واللاهوت الروحي، واللاهوت العقيدي، بل يمكننا أن نتحدث عن لاهوت الشباب، أي التعليم الإلهي الموجه للشباب .. وهكذا.

فمتى نعيد اكتشاف تراثنا؟ **ومتى نعيد صياغة إجاباتنا على مسائل العقيدة في أسلوب بسيط .. أسلوب رجل الشارع المسيحي؟!** لكي نفهم إيماننا وندرك أنه الجوهر الثمين لحياة الفرح وهو السبيل الوحيد إلى السعادة النقية التي يبحث عنها الجميع ولا يجدونها.

إن التمسك بمقولة أن العقائد أعظم من إدراك الإنسان يضع سداً خطيراً أمام الشباب ويحرم الناس من الخبز الحقيقي الذي أن أكل منه أحد لا يجوع ، ومن الماء الحقيقي الذي أن شرب منه أحد لا يعطش أبداً.

وما قلناه عن أسلوبنا في تعليم العقيدة، يمكن أن يقال أيضاً عن أسلوبنا في تعليم الطقوس. إننا كخدام نشرح الطقوس شرحاً تبريرياً وليس شرحاً حياتياً.. فمثلا دوران الشماس حول المذبح، نفسره بدوران يشوع بن نون ومن معه حول أسوار أريحا، ولكننا لا نوضح أهمية ذلك لحياتنا وعلاقتنا بالله وبالناس وبالكون، وذلك لسبب بسيط هو أننا لا نعرف !! **إن علينا أن نوضح - عن اختبار - صلة كل حركة من حركات الطقس ببناء الإنسان في المسيح،** وما دمنا لا نفعل، يمارس الناس الطقس دون فهم كاف.

وتبقى المعجزة الحقيقية، أن الروح القدس قد عمل في إناس في كل عصر، فاستطاعوا أن يحتفظوا للطقس بحرارته وحيويته وقدرته الفعالة على إضعاف الإنسان العتيق بداخلنا، وبناء الإنسان الجديد، والذي يتجدد باستمرار.

ولنحترس هنا **فالطقوس ينبغي أن تشرح وتمارس معاً**، فقد نستطيع أن نفهم محتويات الطعام من بروتينيات وسكريات، ولكننا لا نستطيع أن نشرح مذاق الطعام، فلابد للفرد من أن يتذوقه بنفسه .. **فالفهم لا يكتمل إلا بالممارسة**، وممارسة الطقس عن فهم تشبه من يتناول برتقالة لأنها لذيذة الطعم وأيضاً لأنها تحتوي على فيتامين "ج"، بينما الممارسة دون فهم تشبه تلك العصائر الصناعية، التي وإن حملت مذاق البرتقال إلا أنها لا تحوي الفائدة المرجوة. **نعم ... نحتاج إلى أن نمارس وإلى أن نفهم معاً، وسنجد في تراثنا مدداً حياً، وفي اختبارنا الحياتي برهاناً قوياً، فعلينا أن نعيش وندرس ونمارس ونفهم ثم نعلِّم.**

٦ـ الفضيلة والضرورة

بادرني زميلي في الخدمة بقوله :

+ أدعوك إلى إلقاء كلمة في اجتماع الشباب في كنيستنا

- في أي موضوع ؟

+ فلتحدثنا عن أحد الفضائل .. كما تعرف .. عن الإيمان ، الرجاء ، العفة ، الاتضاع ..

- وما معنى الفضائل في رأيك ؟

+ هي قيم مسيحية مفروض أن نتحلى بها

- وما هي القيم ؟

+ نعم !؟ .. هي صفات ثمينة يقتنيها الإنسان

- ولماذا يقتنيها ؟

+ لكي لا يشابه أهل العالم ، ألم تقرأ كيف أن قديساً قضي سنيناً لكي يقتني فضيلة واحدة !!

- أجل ولكن ، فيم يمتاز شخص لديه فضائل كثيرة ، عن شخص لديه فضيلة واحدة ؟

+ كما يمتاز نجم عن نجم في المجد

- تعني في مكانته في ملكوت السماوات ؟! أتظن أن ذلك القديس الذي حدثتني عنه قد مضى حياته سعياً لاقتناء الفضائل لكي ينال درجة أعلى في الملكوت !!

+ نعم .. ولأسباب أخرى أيضاً . أن يعيش الإنجيل .. أن يعيش وصايا المسيح

- عظيم .. ولماذا يعيش وصايا المسيح ؟

+ قال الرب " من يحبني يحفظ وصاياي " ومن يعيش الوصايا يبرهن على محبته.

- ولماذا يبرهن ؟

+ لكي يدخل ملكوت السماوات. أليس الملكوت هو هدف الحياة المسيحية ؟!

- نعم الملكوت ليس هدفاً ، ولكنه نتيجة للحياة المسيحية ، بل الإنسان هو الهدف

+ اسمح لي .. كيف تعطي الإنسان أهمية أكثر من ملكوت الله ؟!

- لدى الله .. الإنسان أهم !!

+ هذه هرطقة !!

- أسمعني حتى النهاية !! هل يهتم الله بذاته أم يهتم بالإنسان ؟

+ هذا سؤال عجيب !!

- لماذا تجسد المسيح ؟ + ليقدس طبيعة الإنسان

- وماذا سمي المسيح نفسه ؟ + ابن الإنسان

- ولماذا صلب المسيح ؟ + ليحمل اللعنة عن الإنسان

- ولماذا مات المسيح ؟ + ليفتدي الإنسان من الموت

- ولماذا قام المسيح ؟ + لينتصر على الموت ويكون باكورة لبني البشر

- ولماذا صعد المسيح ؟ + ليعد للإنسان مكاناً في السماوات

- ولماذ أرسل الروح القدس ؟ + ليعزي ويرشد ويجدد الإنسان

- هل أدركت الآن ما أعنيه + وما علاقة هذا كله بموضوعنا

- وما هو موضوعنا ؟! + الفضائل المسيحية

- رأيي أن الفضائل ليست موضوعنا ،... موضوعنا هو الإنسان

+ يعني لا نتكلم بعد عن الفضائل المسيحية ، خلاص سيادتك قررت إلغاءها !!

- يا سيدي أفهمني أعمل معروف !!.. إذا بدأنا البحث من الإنسان سنجد مشاكل داخلية وأخرى خارجية تعوقه عن الحياة المسيحية.

+ مثل ماذا ؟

- مشكلة القلق والخوف مثلاً ... الخوف من عدم القدرة على مواجهة مطالب الحياة، الخوف من الفشل في تحقيق الطموح، الخوف من العجز عن إثبات الوجود أمام الآخرين ... ترى ما هي جذور هذه المخاوف ؟

+ ما هي يا حضرة الفيلسوف ؟!

- هي، في رأيي، شعور كامن بالوحدة في مواجهة الحياة، يختلط برغبة أنانية في ان أصير أفضل من الآخرين أدبياً ومادياً...

+ والحل ؟!

- جذور المشكلة تكمن في ذاتية الإنسان، أن الإنسان متميز في شخصه ولكنه جزء من كل، وانه كعضو في جسد لا يمكن أن يحيا سعيداً، ولا يمكن ان يتذوق الحياة الحقيقية بمعزل عن الآخرين، وحين يدرك الإنسان أن نجاحه وفرحه وسلامه الداخلي مرتبط بنجاح وفرح وسلام الآخرين، يستطيع أن يتسامح ويحتمل ضعف الآخرين، ويدرك حجمه الحقيقي، وهو ما نسميه بالاتضاع. وحين يدرك الإنسان أن تناغمه وتوافقه مع الغير لا يتأتى إلا من خلال مصدر الكل، الله العامل في الإنسان، يسوع المسيح الكلمة المتجسد، يذهب عنه خوفه من الوحدة أو الفشل أو الهزيمة ويثق أن الله معه وفيه وبداخله، وهو ما نسميه بالإيمان.

+ "جالك كلامي " ... ألم أقل لك منذ البداية أن الشباب يحتاج إلى أن يتعلم الاتضاع والإيمان وغيرهما من الفضائل !!

- نعم ولكننا نتعلم بطريقة مقلوبة، فنبدأ من الفضائل وننتهي بالإنسان !! ولكن متى بدأنا بمعاناة الإنسان ومشكلاته، وشخصنا جذورها وقدمنا المفهوم السليم للقيمة المسيحية كحل لهذه المشاكل .. وقتها يدرك كل شاب أن الفضائل ليست شيئاً فوق أرضي بعيد المنال، بل إنها في داخله وفي قلبه...

+ يعني أنا وأنت متفقان ؟

- لا !! .. أنت تقدم الفضيلة كشيء كمالي، بينما هي ضرورة حياتية، لو أدركت أن تواضعي سيخفف عني عناء الزحام، وان تسامحي سييسر لي فهم الناس ويقرب لي السعادة، وأن إيماني سيوطد طموحي ويدفعني إلى المثابرة بغير قلق لأدركت أن ما تسميه فضائل ليست زوائد أو جوائز، بل هي منهج لحياة مملوءة فرحاً وأملاً، تبدأ بالله والإنسان معاً وتنتهي بالله والإنسان في شركة واحدة.

٧ـ العاطـفة والجنـس

في لقاء روحي للشباب في إحدى عواصم الصعيد دعيت مرة للحديث حول موضوع الشباب والمادية، وبعد الكلمة انهالت على الأسئلة، وفوجئت بأنها كلها حول الاختلاط والعلاقات العاطفية !! وفي مدينة أخرى بوسط الدلتا وكان الموضوع عن "النشاطات الشبابية" والاستفسارات عن الحب والاختلاط !! وأينما توجهت وأياً كان الموضوع المحدد للقاء، كانت أكثر المناقشات، تدور حول الاختلاط والحب والعلاقات العاطفية !!

هل الحب حلال أم حرام؟ هل يمكن أن توجد صداقة بريئة بين شاب وفتاة؟

أحب زميلة أو زميلاً، ماذا أفعل؟! وكيف أعرف إن كان حبي صادقاً؟

أتعامل ببساطة مع الشباب، فيظنونني فتاة مستهترة؟!

كيف أجد شريك الحياة المناسب؟ ما هي حدود العلاقة بين الخطيبين؟

هل يصح أن تكون الكنيسة - بيت الله - مكاناً للبحث عن زوجة؟!

الزواج سر مقدس، فكيف يترك للجنس أن يدنسه؟!

وفي لقاء قريب في إحدى أبرشيات الصعيد تراكم أمامي كوم هائل من الأسئلة أدركت منه قدر الحيرة والتخبط لدى أكثر الشباب في هذا المجال الخطير.

أسئلة تتكرر، أحياناً بنفس الألفاظ، وعلى مدى أعوام متتالية، ماذا يعني هذا ؟... في الغالب أن ما نقدمه من إجابات لا يقنع الشباب، ولا يتفاعل معهم، لذا يظل السؤال قائماً ..

وإذا علمنا أنه **نادراً ما يدور حوار حول هذا الموضوع، أدركنا أن شبابنا مظلوم تماماً في هذا المجال، فهذه المنطقة الحيوية عن العاطفة والجنس، منطقة مجهولة تماماً بالنسبة له فهذه الأمور لا تناقش في المدرسة، ولا تناقش في العمل، ولا تناقش في وسائل الإعلام، وبالقطع لا تناقش في البيت !!**

وماذا عن موقف الناس في الكنيسة ؟ .. إن هناك فكرة سائدة، مهما أدعينا العكس، وهي أن اجتماع الرجل والمرأة يتيح الفرصة لعمل الشيطان ! ويتردد كلام كثير عن وضع النار بجوار البنزين، ووضع اللهب بجوار الكيروسين!

ويحضرني هنا أن المسئول عن الخدمة في إحدى المناطق، معتقداً أن الخدام في منطقته لا يملكون الاختبار والمعرفة الكافية، قرر أن يفصل الاجتماعات المختلطة بلا استثناء. حدث

هذا في عام ١٩٩٩ ! بل إن هناك مناطق بأكملها تحرم الاختلاط تماماً، وهناك من يفصلون بين الجنسين بدءاً من سن عشر سنوات !

وبديهي أن هذا الكلام دخيل على فكر الكنيسة الأصيل ولن أكرر هنا ما كتب في هذا فهو كثير، وفوائد الاختلاط البناء عديدة وحيوية ولكنه الخوف ... الخوف !

وُرب خادم ناقشته بأن الشباب يختلط في كل مكان، فلم لا يختلط في الكنيسة ؟ فأجاب: فليختلطوا كما يحلو لهم، ولكن بعيداً عنا ! **إذن من يرفضون الاختلاط يرفضونه خوفاً على أنفسهم وهرباً من تحمل مسئولية ما قد ينجم من مشاكل.**

إن العلاج الحقيقي لقضية العفة ينبع من أن ينظر كل جنس إلى الآخر نظرة إنسانية، باعتباره إنساناً متميزاً له شخصيته وفكره ووجوده الفعال، ومن هنا ينشأ الاحترام المتبادل والفهم المتبادل، ولا تعود الفتاة بالنسبة للشاب مجرد وعاء لرغباته، ولا الشاب بالنسبة للفتاة مجرد مرآة لمحاسنها. وكيف يمكن أن ينشأ هذا دون تعارف أصيل ودون شركة بناءة من خلال عمل مشترك وهدف مشترك ؟!

إن الجذور الكامنة لهذا الموقف من قضية الاختلاط تنبع من نظرة غير سليمة إلى المرأة وليتحدث من يتحدث عن كرامة المرأة في الكنيسة، وعن دورها في الكتاب المقدس كقائدة ونبية، كأم ومعلمة، كخادمة وشماسة، كقديسة وشهيدة، ولتقل يا عزيزي ما شئت عن دبوره وحنه وراعوث واستير وأليصابات ومريم العذراء والمجدلية وليديا .. فبعد كل هذا، **وقبل كل هذا توجد فكرة رابضة في الأعماق عن أفضلية الرجل على المرأة، ورغم كلام الله بوضوح عن المرأة أنها نظير (معادل) للرجل (تك ٢ : ٨)، فكثيرون يعتقدون أن المرأة هي السبب في طرد آدم من الجنة ! والمرأة، وليست محبة المال، أصل لكل الشرور... قد لا يقال هذا الكلام صراحة، ولكننا نعيشه صراحة.** ويصر البعض على أن يتلمذوا أولادهم بطريقة معينة، ويختارون من بستان الرهبان فكرة الهروب من المرأة كما نهرب من الشيطان، بينما يعبرون سريعاً على قصة المرأتين المتزوجتين اللتين أعلن الرب للقديس أبي مقار انهما قد تساوتا معه في حياة القداسة[٩].

[٩] بستان الرهبان – الطبعة السابقة – صفحة ٢٨ .

وبهذا يظل الجنس - هذه الهبة المقدسة - في دائرة التحريم، ويظل أولادنا يحصلون ثقافتهم الجنسية من اسوأ المصادر ويظل شبابنا يعانون الشعور بالذنب تجاه هذه الطاقة الجبارة التي لا ذنب لهم فيها سوي أن الله القدوس قد خلقها في صميم كيانهم. وكثيرا ما يؤدي هذا إلى أن أغلب الشباب تساورهم فكرة خاطئة بأنه لا حياة سليمة مع المسيح إلا بمعزل تام عن المجتمع.

لقد وضع الله هبة الجنس المقدسة في الإنسان لكي يخرج من محيط ذاته ويتحد بالآخر في شركة حب باذلة. ومن المحرم على الرجل أن يتزوج بأقرب النساء إليه مثل أخواته وبناته، بل يلزمه أن يقدمهن زوجات لرجال آخرين لتتسع الأسرة الإنسانية، وهو عرف ثابت لدى كل الشعوب مما يؤكد أنه مغروس في الضمير منذ البدء، ولكن فساد الطبيعة البشرية بعد السقوط انحرفت به إلى مجرد اللذة.

إن الفكر الكنسي لم يضع أبدا أفضلية لطريق على طريق، ولكن لكل موهبته، ولو سلمنا بأن البتولية طريق للكمال، فإلى من نتوجه بخدمتنا؟ إلى المتبتلين أم إلى الشباب العادي؟... ويامن تطنب في هذا المجال، كم في المائة من الشباب يختارون طريق التبتل المقدس؟ إن تاريخ الكنيسة يعلمنا أن البتولية موهبة لم تعط إلا لقليلين.

إن الجهل الرهيب الذي يعيشه أولادنا وبناتنا في قضايا العاطفة والجنس، يشكل سبباً قاتلاً لأعداد كبيرة، تنصرف بصفة نهائية عن الخدمة، بل وأحياناً عن الإيمان كلية. وينبغي لنا أن نعترف بأننا نغمض عيوننا لأننا لا نريد، وربما لأننا لا نعرف كيف نتعامل مع هذه القضايا الحيوية، قضايا الجنس والحب والزواج.

ونشكر الرب أنه في السنوات الأخيرة بدأ الاهتمام بهذا المجال يظهر واضحاً فيما يكتب ويدرس في الكنيسة[١٠]. والحق أن أكثر الكنائس قد تنبهت إلى هذا.

---

[١٠] قام الخادم الموهوب **د.عادل حليم** بجهد فائق في هذا المجال وتبنت الكنيسة كتاباته .

٨ـ التربيـة الفـرديـة

حين حصلت على الإعدادية بمجموع ٧٨ % أنبنى والدي مقارناً بيني وبين ابن عم تجاوز مجموعه ٩٠ %، وحين تفوقت في الثانوية، أكدت عليّ والدتي ألا أذيع الخبر خوفاً من الحسد ! إن تربيتنا تتم بطريقة مغرقة في الفردية، وهي ليست مسألة جديدة فقد ألح التلاميذ على رب المجد يسألوه: من هو الأفضل؟

إن هذا الاتجاه المغروس في أعماقنا منذ الصغر يصبح سوط عذاب عندما نكبر .. كل يريد أن يكون أفضل من الجميع .. تنافس وتحاسد بلا رحمة !! وكم يتحمل الناس من مشاق لكي يؤثثوا شقة أفضل أو يقيموا حفل زفاف أكبر؟ بل كم من محتويات منازلنا تحملنا ثمنه فقط لكي نريه لمن يزورونا ، بينما لا نستعمله إطلاقاً؟

وتغذي الأفلام والمسلسلات هذا الاتجاه فكثيراً ما تقدم لنا البطل الفرد الذي ينتصر على كل الصعاب ويخترق كل المستحيلات مثل: سوبرمان - رامبو .. وغيرهم كثير !! ... صف طويل من أبطال الوهم، يكرس الاتجاه الفردي في حياتنا، وينفس عن إحباطاتنا بأحلام اليقظة اللذيذة!

وحتى في إطار الخدمة، كم من مرة ترددنا في التعاون مع الكنائس المجاورة، إذ لنا طريقنا الخاص ولا شأن لنا بغيرنا ! وكم من مرة قدمنا فيها بيانات عن خدمتنا بشيء من التجميل حتى نبدو في الصورة الأحسن؟!

ولقد رأيت بعيني التوتر الشديد الذي يصاحب التنافس في المهرجانات الصيفية، وكم كانت العصبية زائدة والانفعال حاداً حين خيل لبعض الخدام أن شبابهم قد ظلموا في الدرجات أو أنهم يستحقون ترتيباً أفضل. ولقد وصل الأمر - ويا للأسف - إلى حد نشوب مشاجرة عقب مباراة في كرة القدم بين شباب كنيستين بسبب ضربة جزاء لم تحتسب! وكأننا في ملعب كفر بلاطة ولسنا في منطقة الأنبا رويس على بعد أمتار قليلة من المقر البابوي الموقر! ولكنه منهج التربية الفردية منذ الصغر .

وها هي بلادنا تواجه الصعوبات على طريق التنمية، فيقف منها أغلب الناس متفرجين مكتفين بإلقاء العيب على الحكومة، دون أن يحرك واحد منهم إصبعاً واحداً للحل كل في

دائرته، ولكنهم معذورون، فقد تربوا هكذا ولو كانوا قد تربوا بشكل أفضل لكانوا أكثر إيجابية، وإن كنا بالطبع لا نبرئ الحكومة من المسئولية.

وكم من قضايا يمكن مواجهتها بالعمل الجماعي، فغير مسئوليات الخدمة **كم من مشروع ناجح سيقوم لو تعود الناس على عمل الفريق.** ولكن الشباب يخرجون إلى الحياة، كلٌ لا يري إلا نفسه ورغبته في التميز، وحين لا تساعده ظروفه على تحقيق ذلك، لا يجد أمامه سوي السخط وصب الانتقادات على كل شيء !!

وفي الفكر المسيحي لا خلاص خارج الكنيسة، وانتماء الإنسان إلى الجسد الواحد أمر مصيري. جسد واحد وأعضاء متنوعة ولكنها تتكامل ولا يملك الجسد أن يستغني عن أي عضو فيه، ولا توجد أفضلية لعضو على آخر، بل الأعضاء الأصغر تستحق كرامةً أعظم (١كو ١٢ : ٢٢ - ٢٦)، **والأهم أنه متى انفصل عضو عن الجسد ، يفقد الموهبة التي أعطيت له لكي ينميها في إطار الجسد** .. فلو انتزعت العين من الجسد، هل تستمر في الإبصار؟! .. بل يخسر الجسد عضواً ثميناً، بينما تموت العين وتفقد موهبتها. إن العمل الجماعي هو التعبير الحقيقي عن الاتجاه الذي أسسه السيد المسيح. أن يصير الكل إلى واحد (يو١٧ : ٢١) الأمر الذي استوعبته الكنيسة تماماً في طقوسها، وفي سائر العبادات الجماعية.

وكثيرا ما تظهر الفردية في الخدمة حين نريد من شبابنا أن يصيروا مثلنا، وخبروني كيف يمكن أن نصبح جسداً واحداً لو أصبح شبابنا نسخاً مكررة منّا؟! هل سبق أن رأيتم جسداً مكوناً كله من أعضاء متماثلة؟! إن تمسكنا بصورة الخدمة الهرمية، سيؤدي بنا إلى تمزيق الجسد الواحد، وتفتيته إلى أعضاء ميتة.

وربما يعترض البعض على أن التنوع يمكن أن يؤدي إلى ظهور شطحات متعبة. إن هذا لن يحدث طالما كان هدف المجموعة هو خدمة المسيح وليس الأشخاص، وطالما ظل تيار المحبة يسري كما تسري الدماء في كل خلايا الجسد، وطالما استمر سعي الخادم الدؤوب نحو ضم أعضاء جدد، ومساندتهم وستر سهواتهم حتى يثبتوا، وحتى يزداد الجسد قوةً وشمولاً وعطاءً.

مجلس الحي.. غير الحي

تسود المحبة - عادةً - مناخ الخدمة في كل كنيسة قبطية أو أسرة شبابية، وتتناغم الجهود - غالباً - بين الكهنة والأراخنة والخدام داخل الكنيسة الواحدة ، وتتردد عبارات قبطية مثل: "أخطيت سامحني، الله يعوضك، اذكرني في صلاتك، أنا المحتاج .."، ويبدو جميع العاملين في الكرمة المقدسة كفروع تتدلى من غصن واحد .. منظر في غاية الحلاوة. ولأن انتماء الخدام إلى كنيستهم قوي وثابت ومتين، لذا يصعب جداً قبولهم لأي خادم من كنيسة أجنبية، أعني كنيسة قبطية في مدينة أخرى، أو حي آخر، أو حتى شارع آخر في نفس الحي. ولا شك أن للخدام أسباباً وجيهة. فمن يدري أن العقيدة لا تختلف من شارع إلى آخر، أو أن الإيمان القويم لا ينحرف ما بين العتبة وعابدين؟ أليس لكل حي مناخه وبيئته الخاصة التي لها تأثيرها غير المنكور على عقيدة سكانه؟!

ورغم النجاح الباهر الذي تتسم به خدمات الكنيسة المنفردة أحياناً، إلا أن الارتباك غالباً، هو مصير كل عمل تجتمع عليه أكثر من كنيسة أو أسرة شبابية، وهو شيء منطقي، فكيف يضمن أبناء كنيسة قبطية أرثوذكسية في شارع ما، أن أبناء كنيسة قبطية أرثوذكسية أخرى في الشارع المجاور لا يوافقون على قرارات مجمع خلقدونيه. لذا نسمع كثيراً في هذا المجال : "إحنا ناس في حالنا .. ومالناش دعوة بالكنائس الموجودة بعد الكوبري" وما أكثر الكباري والأنفاق في القاهرة وغير القاهرة. ورغم إنشاء مجالس لتنسيق الخدمة في كل حي، ومحاولات التوفيق والجمع بين الخدمات الشبابية إلا أن أغلب هذه المجالس يشبه اجتماعاً لكيانات متفرقة ذات سيادة، أو جزر متفرقة وإن كانت في محيط واحد.

وإلى أن يدرك سكان الجزر أن الأمواج التي تلاطم شواطئهم واحدة ، وأن مياه البحر الصاخبة تجمعهم أكثر مما تفصل بينهم، سيظل مجلس الحي .. غير حي!

٩- الانتمـــــــاء

تخلو برامج التربية الكنسية في جميع المراحل السنية من أية مواضيع عن تاريخ مصر أو جغرافيتها أو تطورها الاجتماعي أو مواردها الاقتصادية، وواضح أن هذه الموضوعات لا ترد على أساس أنها تدرس في مراحل التعليم المختلفة، وفي رأيي أن هذا خطأ مركب !! **فحين يدرس الشاب منذ طفولته مجتمع بلاده وجذوره التاريخية، وسمات الشخصية المصرية سيفهم، وحين يفهم سيحب، وحين يحب سيترجم حبه إلى عمل إيجابي نحو تنمية هذا المجتمع وحل مشاكله واستيعاب همومه وقضاياه وإدراك آماله وتبني طموحاته.**

فكيف يمكن أن يكون المسيحي نوراً للعالم أو ملحاً للأرض، وهو لا يعلم شيئا عن هذه الأرض - أرض مصر - التي يفترض فيه أن يكون نوراً لها، بخدمته ومحبته وجهاده من أجل الحياة الأفضل له وللآخرين.

إن وعي الشباب ببلاده هو العلاج الأكيد لمشاكل الاغتراب (الشعور بالغربة) وعدم الانتماء والهامشية. وقد قمنا بتجربة في حلقة دراسية للشباب والخدام حيث عرضنا مختارات من الموسوعة الفذة عن مصر " عبقرية المكان " للراحل النابغة الدكتور جمال حمدان وكانت استجابة المشاركين رائعة.

قد يقول البعض: ولكن هذه الأمور تدرس في المدارس، فما الداعي لتكرارها مرة أخرى في الكنيسة والرد على ذلك أنها تدرس بالأسلوب العقيم الذي أشرنا إليه (إحفظ هذا لكي تنجح) .. فلا يشكل نارمر أو سنوسرت الثالث أو ايمحتب أو أحمس أو تحتمس الثالث أو إخناتون أو بطليموس الثاني أو عقبه بن نافع أو صلاح الدين الأيوبي أو الظاهر بيبرس أو طومان باي أو محمد علي أو الخديوي إسماعيل أو أحمد عرابي أو طلعت حرب أو سعد زغلول أو مصطفي النحاس أو جمال عبد الناصر ... وغيرهم من القادة، سوي مجرد أسماء أو معلومات جافة للاستذكار، وليسوا علامات أو نماذج يهتز لها القلب لما أرست من مبادئ أو قدمت من تضحيات أو أنجزت من أمجاد ... ولا يدرك الشاب المصري أن هؤلاء وغيرهم كانوا علامات على الطريق الطويل الذي وصل بنا إلى مصرنا الحالية والذي يمتد إلى المستقبل إلى ما شاء الله.

وماذا عن الأساتذة المبدعين مثل فيلو وافلوطين والليث بن سعد وواصل بن عطاء وابن رشد والمقريزي والجبرتي ومحمد عبده والنديم وبن صنوع وشوقي وحافظ وجورج زيدان وطه حسين وقاسم أمين ومحمود مختار وسلامه موسى وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وزكي نجيب محمود وزكريا ابراهيم ونجيب محفوظ ... هؤلاء الذين قد نتفق أو نختلف على أفكارهم ولكننا لن نختلف على تأثيرهم.

لهذا نري شبابنا - مسلمين ومسيحيين - يتبادلون النكات عن مصر، وكأنما ليسوا أبناء هذا الشعب، وكأنما ليست عليهم مسئولية حقيقية نحو بناء هذا الوطن والانطلاق به نحو آفاق المستقبل ولكنهم لم ينصهروا في حب مصر، ولم ينفعلوا مع كتابات أحمد بهاء الدين وفيليب جلاب ويوسف إدريس وسيد عويس، ولم يتفاعلوا مع دراسات السيد ياسين وسيد القمني وغالي شكري وطارق حجي وجلال أمين، ولم تتوهج داخلهم ابداعات بيرم التونسي وفؤاد حداد وأحمد فؤاد نجم.

إن الوعي ببلادنا، والوعي المكتمل فقط، هو الذي يجسد المقولة الحكيمة لقداسة البابا شنوده: **إن مصر بالنسبة لنا ليست وطناً نعيش فيه بل هي وطن يعيش فينا.**

إن بناء الهوية المصرية والانتماء القومي، ليس فقط علاجاً أكيداً لأمراض الاغتراب وعدم الانتماء والهامشية، بل هو أيضا الترياق الفعال ضد السموم الدخيلة التي تطرح الهوية العقائدية بديلاً للهوية القومية .. هذه الأفكار الظلامية التي تريد أن يصبح التعصب الديني بديلاً عن الانتماء للوطن.

وقد تعاظمت أهمية هذه القضية بعد انهيار الحواجز بين الثقافات، وبعد أن أصبح العالم تحت سيطرة قوة واحدة ولسنوات مقبلة، وهي بالطبع حريصة على نشر فكرها وتقديم نموذج حياتها على أنه النموذج الأمثل، فضلاً عن أنه أصبح لكل فكر، مهما كانت اتجاهاته، وسيلة قوية للوصول إلى الناس ومخاطبة عقولهم.

ولكن نقص البرامج ليس هو السبب الوحيد لهذا الموقف من قضايا المجتمع.

١٠ـ النظرة إلى التاريخ

إن مئات السنين التي عاشها المصري تحت نير الاستعباد الأجنبي تدفعه إلى التحسر على ماضٍ، كان فيه سيد الحضارة بلا منازع. ومن هنا جاءت النظرة الحالمة إلى الماضي: فأبطالنا بلا نقيصة واحدة، وأعداؤنا بلا فضيلة واحدة.

ورغم أن الكتاب المقدس لم يتحرج عن ذكر نقائص أبطاله، إلا أننا حين نتحدث عن أبطالنا نراهم فوق مستوى البشر، وحين نقرأ تاريخنا نجد فيه كل أفعال التفضيل، مثل : أروع وأعظم وأكبر ... إلخ. كأنما في تلك العصور كان العالم كله يقف جامداً ونحن وحدنا نتحرك.

وهكذا نفتقر إلى النظرة الموضوعية ونتبنى الموقف الشخصي. والغريب أنه بينما يعرض الكتاب المقدس ببساطة جريمة داود، نتحرج عن مناقشة تاريخنا بموضوعية علمية. إن الذي يتحدث عن إسراف الخديو إسماعيل ينسى أن في بداية عهده كان بمصر أقل من ٤٠٠ مدرسة، وحين ترك الحكم كان بها أكثر من ٤٠٠٠ مدرسة فضلاً عن شق الترع واستصلاح الأراضي وتأسيس مجلس للنواب، وأن في عهده ألغيت الجزية وأصبح القبطي مواطناً كامل المواطنة. لكننا نقرأ تاريخنا في الغالب كما نشاهد أفلام الميلودراما.

ويلفت النظر أن ما كتب في تاريخ الأقباط يركز أساساً على الأشخاص من البارزين في كل حقبة، ولكنه نادراً ما يتحدث عن الأفكار السائدة، أوالظروف الاقتصادية أوالمناخ الإقليمي والتحولات التاريخية وتأثيرها على الأقباط.

ويندر أن تجد باحثاً قبطياً إهتم أن يقرأ المراجع الأساسية في تاريخ مصر. والحق أن هيئة الكتاب أصدرت عدداً من الدراسات في تاريخ مصر، تصدى لها باحثون مصريون اعتمدوا المنهج العلمي، وكلها ذات فائدة عظيمة للباحث الجاد. إننا نحتاج إلى دراسات أعمق في تاريخ كنيستنا، وسيدهش الباحث عندما يجد أن المراجع أكثر مما يتصور أحد، لكن من يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له. لهذا تسود النظرة الحالمة لتاريخنا، ومنها إلى باقي الأمور. **أن بداية الطريق لحل هذه الإشكالية بين التراث والعصر، هي في أن ندرس تاريخنا وتراثنا دراسة علمية موضوعية، وأن نبحث المسرح الذي دار عليه التاريخ، لنرى ونفهم، ونفطن إلى أن أبطالنا كانوا بشراً، وسبب عظمتهم الحقيقية في أنهم بشر، جاهدوا ضعفهم، ففشلوا حيناً**

ونجحوا أحياناً، ولكنهم جميعاً كانت تضحياتهم واجتهاداتهم من أجل ذلك الوطن الذي يعيش فينا .. مصر.

خورس النقل العام

تمتاز الكنيسة القبطية بألحانها العذبة التي تملأ النفس بالفرح والتعزية في كل الممارسات الطقسية. وبعض الأخوة المتمكنون يحبون الألحان محبة زائدة، لذا تجدهم يتقدمون الصفوف مقتربين قدر الإمكان من "الميكروفون"، ولأن من واجب الشماس تنبيه المصلين، تراهم يرفعون عقيرتهم بصوت رهيب قد يصرع الأطفال، وربما وصل الصوت إلى الشارع ليرشد الضالين إلى الكنيسة، كما كانت منارة الأسكندرية ترشد السفن التائهة قديماً.

ولأن هؤلاء الإخوة متمكنون، يعجز باقي الخورس عن مجاراتهم، فهم يبدأون اللحن سريعاً، ثم يلحق بهم الباقون، كلٌ حسب التساهيل. ويصبح اللحن مثل أتوبيس يتعلق به في كل محطة نفرٌ من الناس. ولأن من ميزات التمكن التلذذ بالألحان، فأننا نرى المتمكنين وقد فردوا أحبالهم الصوتية لنشر اللحن، وسرعان ما يتهاوى باقي الخورس، وتتناقص الأصوات المؤدية سريعاً، وفي النهاية لا يبقى سوى المتمكن الأوحد. وويل لمن تسول له نفسه أن يبدأ اللحن، فسرعان ما تدهمه الأصوات المتمكنة في زفة مخيفة، ولسان حالهم يقول "أوعى الأتوبيس". ومع تكرار هذه "الحوادث" طوال القداس يصل باقي الخورس إلى حالة من الإحباط فيصمتون يائسين، كمن مر بهم الأتوبيس رافضاً الوقوف.

يعترض بعض البسطاء بأن الألحان الكنسية صلوات مرتلة ينبغي لها الهدوء والروحانية وأن جماعية الترتيل جزء أساسي من طقس القداس فكل الشعب ينبغي أن يشترك في الصلاة، كما يؤكد الأب الكاهن في تحليل الخدام، ولكن يا أخي الشماس لا تأبه لهذه الآراء واستمر في سيرك على الخط، فإنك حقاً لمتمكن!

خلاصة الباب الأول

١- التعليم الفعال يتم من خلال الحوار والبحث والدرس وليس بواسطة التلقين.

٢- لا توجد فكرة فوق النقاش، ولا تؤسس قيمة الفكرة على شخص قائلها بل على مدي اتفاقها أو تعارضها مع الكتاب المقدس وفكر الآباء القديسين، وعلى مدي نفعها وفعاليتها في حياتنا الروحية.

٣- أسلوب الحوار وديمقراطية الفكر يعمق مبدأ الطاعة المستنيرة ويبني الروح الجماعية الكنسية السليمة، حيث الجسد الواحد ذو الأعضاء المتنوعة، فلا يوجد بالضرورة حل واحد لكل موقف ولا إجابة واحدة لكل سؤال.

٤- التربية السليمة تبني الشخصية المستقلة وتدرب الشاب على اتخاذ القرار.

٥- أهمية تحقيق مصدرما ننسبه إلى الأباء القديسين من أفكار ومقولات.

٦- حتمية توضيح الصلة بين ما نتعلمه من مبادئ عقائدية ومفاهيم طقسية وروحية، وحياة الناس اليومية. ولا يتأتي هذا دون أن يتعمق من يتصدون للتعليم في فهم كل فكرة أو حقيقة قبل تعليمها . وإننا لنثق أن السيد المسيح حمله خفيف وما تقدمه المسيحية يمكن للكل أن يفهموه، متى قدم بالأسلوب المناسب.

٧- أن يمتد التعليم إلى قلب هموم وتناقضات الإنسان المعاصر، وأن يدرسها بشجاعة ودأب، مثل قضايا العاطفة والجنس والالتزام الاجتماعي والانتماء.

٨- أننا يجب أن نعيد دراسة تاريخنا بمنهج علمي موضوعي لنكتشف ما به من كنوز حقيقية وليس لمجرد الانبهار بالبطولات.

الباب الثاني

كيف نفكر؟

الغربة عن العالم
الروح والجسد
الفكر والعاطفة
الروحنة الحالمة
الغيبيات
الإيمان أم العلم
قيمة الحياة

١١ـ الغربة عن العالم

يقول القديس يعقوب أن "محبة العالم عداوة لله - يع ٤"، ويضيف القديس يوحنا "إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب - ١يو ٢"، ولكن الرب يقول "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد يو٣: ١٦"، فكيف يحب الله العالم بينما يطالبنا بكراهية العالم ؟

في العظة على الجبل ، قال الرب "... لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون.. الحياة أفضل من الطعام .. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم- مت ٦: ٢٥ - ٢٣ ". واستناداً إلى هذا شاعت موجة في التعليم بأننا أبناء الملكوت[١١]، ولا يصح أن ننشغل بأمور الأرض، مع افتراض التناقض بين أمور الحياة اليومية، والأولوية المطلقة التي يجب أن يعطيها المسيحي لخلاص نفسه. ويرى الدارس للموعظة أن الرب قد طلب من سامعيه أن يزيد برهم على بر الفريسيين، ثم ضرب أمثلة لهذا البر الشكلي في الصدقة والصلاة والصوم، كما تحدث عن مفاهيم سامية للوصايا وعن التعامل في محبة وتسامح.

أن الرب لم يطلب من سامعيه أن يتوقفوا عن العمل أو التعامل، بل طلب تنقية الدوافع إلى العمل والتعامل، وتحويل العمل من التزام شكلي إلى سلوك حياتي، نابع من دافع أصيل هو المحبة لله والناس. ثم تطور ربنا بالفكرة إلى أهمية وحدانية القلب في خضوعه وحبه لله، ثم يعود ليؤكد على أهمية السلوك طبقا للنقاوة الداخلية ليكون سبباً في مجد الله. **من هذا نفهم أن ملكوت الله وبره، المطلوب لهما الأولوية، المقصود بهما أن يملك الله في الداخل** (ملكوت الله داخلكم - لو١٧- ٢١) فينقي الفكر والعاطفة والإرادة من كل صراع أو قلق أو أنانية أو نسيان للآخرين. وتؤكد الكنيسة في شروحها أن المقصود بعبارة "لا تهتموا" هو لا تقلقوا وليس لا تعملوا، وكلنا يعلم أن رب المجد حين تحدث عن يوم الدينونة، ميز المختارين بأنهم من مارسوا عمل المحبة مع الآخرين (مت ٢٥ : ٣١ -٤٦). **ولكن التركيز على أن الصليب هو صليب مقاومة الأفكار الشريرة ونوازع الخطية واغراءات الشيطان فحسب، يؤسس نوعا من**

---

[١١] الشائع أن هناك فرقا بين ملكوت الله وهو الكنيسة، وملكوت السموات وهي الحياة الأبدية ولكن رب المجد علم الناس أنهما شيء واحد، إذ يمتد الأول (الكنيسة) ليصير في الأبدية إلى الثاني (السماء) قارن أمثال الملكوت مت ١٣ ومر٤.

الازدواجية في شخصية الشاب، ويكاد يبني فيه قناعة بأن الحياة في المسيح شيء منفصل ... عن الحياة اليومية وهنا الخطر! فما أن يخرج الشاب إلى الحياة العملية حتى يشعر بأنه لم يتدرب على مواجهتها، وتكثر الطلبات من المتكلمين أن يتناولوا موضوعات مثل "المسيحي والمجتمع" وما شابه ذلك، **كأنما الشاب في كفة والمجتمع في كفة أخرى !**

إن صليب المسيح مسئولية نحو تحويل العالم إلى الأفضل ... وخبروني لو أن كل مسيحي في موقعه الصغير يمارس هذه المسئولية، ويحمل صليبه بفرح، ويخرج من إطار ذاته إلى الدائرة التي يحيا فيها .. كيف كان سيصبح حال العالم وقتئذ؟

إن للحياة على الأرض قيمة عظمى في المسيحية، ولو كان هدف هذه الحياة فقط هو التمهيد لدخول الأبدية، لكان السعداء هم من يموتون عقب المعمودية والميرون والتناول الأول إذ يضمنون الأبدية! ولكن قيمة الحياة أمر سنعرض له تفصيلاً.

ولكن لماذا نركز تعليمنا على الجانب الداخلي فقط ؟ .. قد يذكر البعض أسباباً تاريخية حين عانت الكنيسة من ضيقات أجبرتها على الانعزال ، **ولكن السبب في رأيي ، هو أن هذا المنهج هو الأسهل والأقل تكلفة.** ومادمنا متمسكين به لا ينبغي لنا أن نلوم من يصفون المسيحية بأنها ديانة روحية بحتة لا تصلح للحياة اليومية!

يجب أن نميز إذن بين الغربة بمعني الانفصال عن العالم، وبين الغربة بمعني الاختلاف عن تيارات الشر في العالم، فهذا هو العالم الذي وضعت مسئوليته علينا وهذا هو العالم الذي احبه الله "لأنه لم يرسل الله إبنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم - يو٣" وتصوروا معي لو كان التلاميذ قد خرجوا إلى أي مكان منعزل يبنون فيه مجتمعاً مستقلاً، ربما كانوا قد تجنبوا الاستشهاد والاضطهاد، ولكن هل كانوا وقتها يستطيعون القول أنهم قد نفذوا وصية المسيح، وماذا كانت ستصير إليه الكنيسة حينئذ؟ **إن الطريق إلى الحياة الأبدية يمر من خلال محبة الآخرين، محبة بالعمل وليست بالكلام ولا يوجد طريق آخر للخلاص، فمن خلال الآخر اكتشف نفسي وأترجم إيماني وأكون ابناً بالحقيقة للآب الذي في السموات.**

الخط الروحي

+ لا تنس أن تحضر يوم الجمعة القادم فقد رتبنا يوماً روحياً

- أرجوك إعفني من الحضور

+ تشترك في كل الرحلات والحفلات وكل نشاط غير روحي وتعتذر عن الأيام الروحية

- وما دامت الرحلات والحفلات أنشطة غير روحية ، فلماذا تقيمونها إذن ؟

+ لأن الشباب يحبها وبطالب بها

- بعض الشباب يحبون الرقص ، فلم لا تدرجوه ضمن النشاط ؟

+ ليس هذا وقت المزاح !

- انا لا أمزح، لقد فهمت من كلامك أن بعض الأنشطة - في رأيك - غير روحية ومع ذلك تهتمون بها لأن الشباب يحبها ويجتمع حولها .. ما دمت ترى الأنشطة الأخرى غير روحية، أو بمعنى آخر أنت غير مؤمن بفاعليتها، فالأجدر أن تركز على ما هو روحي.

+ ولكن الرحلات والحفلات نافعة أيضا، فهي وسيلة للتعارف ونمو الصداقة بين الشباب، كما أنها تساعد على اكتشاف المواهب وتنمية القيادات.

- كيف تكون غير روحية ونافعة ؟!

+ هي نافعة ولكن لقليل، أما التقوى الروحية فنافعة لكثير ..

- وما هي التقوى الروحية كما تراها؟

+ الصلاة .. دراسة الكتاب المقدس .. التسبحة .. الموضوعات الروحية

- وما هي الموضوعات الروحية ؟

+ يا صبر أيوب! .. هي التي تتعلق بخلاص النفس والسعي نحو الملكوت مثل : التوبة، الطهارة، الرجاء، الاتضاع، الصوم ... هذه الموضوعات التي تبني الشباب روحياً

- عظيم، وكيف تعرف أن الشباب قد تقدم روحياً؟

+ من مواظبته على الاعتراف والتناول والصلاة وحضور الاجتماعات

- ولكن الإنسان لا يحيا فقط ليحب الله، بل أيضا ليعرف ويحب ويخدم الآخرين

+ تماماً .. ولكنه كيف يستطيع أن يفعل هذا دون أن يكون على علاقة طيبة بالله

- تعني أن على الإنسان أولاً أن ينغلق على نفسه في جهاد ضد الخطية وافكار الشر، وبعد أن ينتصر يعود فينفتح على الناس ليمارس معهم ما تعلمه في فترة تفرغه للجهاد

+ يعني .. الأمور الروحية لها الأولوية

- انت لا تستطيع أن تقسم الإنسان ولا تستطيع أن تغلقه على نفسه حتى يمتليء كما تقول

+ وما هو الأسلوب الصحيح في رأيك؟

- هو الأسلوب الذي يتعامل مع الإنسان ككل وليس كأجزاء متعادية. أنت تدعوني إلى الصلاة .. حسناً، ولكن ينبغي أيضاً أن تدعوني إلى الحياة، الحياة في اطارات مصغرة كرحلة أو مسابقة .. انت تقول أن الرحلات أنشطة غير روحية، وأنا أقول العكس

+ تعني الرحلات الروحية إلى الأديرة

- حتى الرحلة إلى المتحف المصري تبني الإنسان معرفةً وفكراً. ألا يقرب الإنسان من الله أن يقدر المواهب التي وضعها الرب فيه، ألا يبني الإنسان أن يدرك إشتياق القدماء إلى الله وكيف تصوروه .. أقول أن هذا يقربه من الله ويدفعه إلى إحترام الإنسانية أيضاً انت تظنني اعترض على التركيز على الموضوعات الروحية، على العكس أنا أدعوك إلى أن تكون الحياة كلها روحية عاقلة، لأن صورة الله في الإنسان هي الروح العاقلة

+ يعني نهتم بالرحلات والأنشطة ونترك الحياة الروحية؟

- ان ما تسميه انت الحياة الروحية هو في الواقع الحياة الداخلية، وهي لا تبني الإنسان وحدها، بل الحياة الخارجية أيضا. إن القديس يوحنا يرفض أن يزعم شخص أنه يحب الله الذي لا يراه وهو لا يحب الإنسان الذي يراه. والحياتان معا مثل ساقين يسير عليهما الإنسان. إن التركيز على الحياة الداخلية فقط يشبه إنسانا ربط إحدى ذراعيه خلف ظهره لسنوات واستعمل ذراعاً واحداً. سيتحول بالطبع إلى إنسان مشوه، وهو ما حدث بالفعل! ألا ترى شبابنا وقد استقر في اعماقهم إنفصام كامل بين الروحيات وبين الحياة اليومية ..

+ هذا الوضع له أسباب، ولكن ليس العيب في الخط الروحي.

- تـــــاني!!

١٢ـ الروح والجسد

إن جذور العداوة بين الروح والجسد تكمن في الثنائية الأفلاطونية الشهيرة، والتي غرست نفسها في التعليم المسيحي، خاصة وأننا نربطها بفهم خاص لآيات معروفة مثل "الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد - غل ٥: ١٧" و"اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام - رو ٨: ٦" **وهكذا يشيع بين الناس بأن الروح لها الأولوية المطلقة، وأن الجسد عدو مميت للإنسان، ينبغي إذلاله بالصوم والسجود والسهر، وأنه لا يجب الاهتمام باحتياجات الجسد بل باحتياجات الروح. ويتكرر الكلام في العظات عن ضرورة إهمال الماديات وهو أمر يتناقض مع طبيعة الإنسان. لقد خلقنا الله مزيجاً من الروح والمادة، فوضع في كياننا الحاجة إلى الطعام والشراب والعمل والراحة، إلى المسكن والملبس.**

لقد اهتم الرب بإطعام للجموع، بينما خصص الرسل سبعة شمامسة لخدمة المائدة.

ورغم أن عدداً من الخدام يهتمون بتوضيح الفهم السليم في هذا المجال، وهو أن الجسد لا يعني البدن أو الطاقات الإنسانية المسماة بالغرائز، وأن قصد الإنجيل هنا هو الإنسان العتيق، وبهذا يستقيم تفسير الآية القائلة بأن الجسد يشتهي ضد الروح، أي أن الإنسان العتيق يشتهي ضد الروح القدس، إلا أن كثيرين مازالوا يتمسكون بالفهم الخاطئ وهو أن الجسد يعني كل ما هو مادي في الإنسان.

الإنسان العتيق هو الذي انفصل عن الله فتشوهت طاقاته ومواهبه المعطاة له من الله، فمثلا طاقة الجنس التي وضعها الله في الإنسان لكي يحب ويخرج من أنانيته تحولت إلى مجرد اللذة .. وهكذا، وعبر آلاف الأجيال من الانفصال عن الله توارث الإنسان هذه الطاقات المشوهة، وهكذا نفهم النص "لأني هأنذا بالآثام حبل بي وبالخطايا ولدتني أمي - مز ٥٠"، والتي تجسد المسيح لكي يعيد هذه الطاقات إلى وضعها المقدس، كما تقول الكنيسة "يرد الإنسان إلى رتبته الأولى".

وبينما ننظر بتوقير إلى ما يسمي بالأيام الروحية، نضطر إلى الموافقة على مضض على أي نشاط رياضي، فهو نشاط جسداني يأتي في المرتبة الأقل، إذا أتى أصلاً!

ولنتوقف قليلاً عند هذه النقطة الهامة:

الثابت أن الإنسان وحدة متكاملة لا يمكن تقسيمها إلى جسد ونفس وروح، ولا يمكن التعامل معها على أساس مجزأ، فرُب إنسان حزين يفقد شهيته للطعام، ورُب حاله نفسية يعجز معها الإنسان عن تحريك أحد أطرافه، بل إن مجرد ألم بسيط في أصبع القدم قد يجعل الإنسان عصبياً متوتراً. ومن منّا، بعد انقطاع طويل عن الطعام والراحة، يملك القدرة على الدخول في مناقشة موضوعية، أو حتى يجد في نفسه القوة على الوقوف للصلاة أو قراءة الكتاب المقدس بذهن حاضر ؟

ونقرأ قصة بديعة في البستان عن راهب سوري حضر إلى البرية ليتتلمذ على آباء مصر، وبعد فترة طلب مشورة أب الدير، فقال : إنني في بلادي كنت أطوي الأيام صوماً، أما هنا فلا أحتمل الصوم ليوم واحد، فأجابه الشيخ الحكيم: في سوريا تبنى الأديرة قريبة من القرى، والناس يعلمون أخبار الرهبان، **لقد كان مديح الناس هو الذي يقويك على احتمال الجوع.**

لهذا نري الكتاب المقدس حين يتحدث عن الإنسان يستخدم تعبيرات مثل الجسد، النفس، الروح، كل منها في مكان الأخرى دون تردد مشيراً إلى الإنسان كله.

فالرب يتحدث عن الضيقات الأخيرة، وأنها لو لم تقصر فلن يخلص جسد (مت ٢٤ : ٢٢) والمقصود إنسان، والذين انضموا إلى الكنيسة يوم الخمسين كانوا نحو ثلاثة آلاف نفس (أع ٢ : ٤١) والمقصود ثلاثة آلاف إنسان. وقد كتب كثيرون في هذا منهم المتنيح الأنبا بيمن أسقف ملوي في كتابه القيم " المسيحية والجسد".

ولو كان الجسد (الجسم) شيئاً مرذولاً فلم رتب الله في تدبيره أن يخلص الجسد (أف ٥: ٢٣)، فنقوم بأجساد ممجدة في اليوم الأخير ؟ أرجو أن ننتبه إلى هذه النقطة، فحين تحدث القديس بولس (١ كو ١٥ : ٣٥- ٤٥) ذكر أننا نقام بجسد روحاني، ولو كان التناقض بين الروح والجسد كما يظن الناس، فكيف يمكن أن يكون الجسد روحانياً. ويذكر هنا أن جسد السيد بعد القيامة كان ملموساً .. " فقال لهم .. انظروا يدي ورجلي أني أنا هو. جسوني انظروا فأن الروح ليس له لحم وعظام- لو ٢٤ : ٣٦ - ٤٣"، فضلاً عن أن الرب قد صعد إلى السماء جسدياً (بنص القداس)، أي واللاهوت متحد بالناسوت. **فالإنسان كله يكون جسدانياً بمعني الإنسان العتيق، بينما الإنسان كله يكون روحانياً بمعني الإنسان الجديد.**

وقد استوعب الفكر الأرثوذكسي هذه الحقيقة تماماً، فها نحن نري السرائر الكنسية، وهي وسائط الخلاص، كلها تقدم إلى الناس من خلال وسط مادي حتى يمكن للناس أن يتعاملوا معها (المعمودية في الماء / الميرون بالزيت / التناول من خبز وخمر) ويحفل الطقس الأرثوذكس بغذاء متكامل للإنسان كله، ففيه نسمع الألحان، ونفهم القراءات، ونشم رائحة البخور ونقف وننحني ونركع ونسجد، وأخيرا نأكل من جسد الرب الأقدس ونشرب من دمه الكريم.

وهذا هو المنهج السليم، أن نتعامل مع الإنسان كوحدة متكاملة، كل جانب يكمل الآخر ويؤثر ويتأثر به. صحيح أن نتائج الخطية تظهر غالباً في الجانب الملموس من الإنسان، إلا أنه من الواضح أن من يسقط في الزنا - مثلاً - يسقط بفكره وإرادته أولاً، ولا تكون ممارسة فعل الخطية سوى التعبير الملموس عن انحراف الفكر والإرادة بعيدا عن العفة. من أجل هذا نصوم ونسهر ونسجد ونتعب، لأن كل هذا جزء من عبادة متكاملة، فنحن نصوم ونصلي، ونسهر ونتوب. ولو أدينا السجود دون روح الإنسحاق والتوبة، ستصبح السجدات مجرد أداء ميكانيكي. ولن تؤدي إلا إلى البر الذاتي[١٢] الذي رفضه رب المجد. إذن ليس الجسد هو مصدر الخطية، بل عندما يسقط الإنسان يسقط كله بدناً وفكراً وعاطفةً وارادةً وروحاً، وعندما يتوب يتوب كله، وعندما يتمجد يتمجد كله.

---

[١٢] يركز البعض على الأرقام القياسية في النسك، وهو منهج رفضته الكنيسة بصرامة لأنه يحول النسك من محبة معاشة إلى مباراة في مدد الصوم وعدد السجدات وفي بستان الرهبان قصة جميلة للقديس سلوانس مع الراهب الذي اعترض على اشتغال الرهبان بالعمل اليدوي (ص ٢٢٢) وغيرها كثير. إن القديسين الذين كانوا يصومون أياماً متصلة لم يفعلوا ذلك تعذيباً لأجسادهم، ولكن لأن التهابهم الداخلى قلل حاجتهم للطعام.

١٣ـ الشكل والجوهر

كان صديقي غاضبا وهو يردد: روتين .. روتين .. حتى الكنيسة فيها الروتين .. لابد أن أحضر مبكراً كي أستطيع النقدم للتناول، لابد أن أكون صائماً قبلها بشهر! ولابد أن أكون ملتزماً باصوام الكنيسة .. كلها تنظيمات روتينية، ما فائدتها؟ ما دمت مؤمناً محباً مخلصاً للمسيح. لقد تركنا الجوهر واستغرقتنا الطقوس والترتيبات. أن الله ينظر إلى القلوب لا إلى الطقوس.

- هل تسمح لى بسؤال ؟ إذا كان الشكل غير مهم - في رأيك - فلماذا اهتم الرب بكل تفاصيل الطقوس والذبائح كما نرى في سفر اللاويين وسفر العدد؟

+ كان هذا في العهد القديم، أما الآن فالمسيح له المجد يدعونا إلى حرية مجد اولاد الله.

- وماذا عن الصلاة الربانية؟ لقد طلب التلاميذ من الرب أن يعلمهم كيف يصلون، وكان يمكنه أن يقول لهم: صلوا بخشوع ، بتسبيح ، بشكر .. ، ولكنه قال لهم صلوا هكذا "أبانا الذي في السموات ..." لقد أعطاهم ألفاظاً محددة للصلاة.

+ ولكن ما علاقة ذاك بهذا الروتين.. أصوام لا تنتهي ، وألحان محفوظة تؤدى دون فهم ..

- أرجو ألا تتجنى وأن تفسح لى صدرك قليلاً .. كان الله عند البشر عبارة عن فكرة مجردة، قوة خفية، جبروت لا يدنى منه، فأحب أن يعرفه الناس لذا تجسد وأخذ شكل تواضعنا كما يقول القديس بولس .. صار جسداً بملامح محددة وترك الناس يرسمون صورته ويعلقونها على صدورهم، لأن الإنسان روح وجسد وحدة متكاملة، ولابد لله أن يتعامل مع كل عناصره. وبتجسد الكلمة دخل الرب إلى عالمنا وقدسه، وتقدسنا نحن فيه، ولم يعد بعد مجرد فكرة هائمة في سراديب العقل .. وها هو كل يوم يقدم لنا جسده ودمه على المذبح لنأكله ونتحد معه ونحيا به ونشبع منه.

+ يعني أنت موافق على الممارسة الروتينية للطقوس والترديد اللاواعي للألحان ؟

- بالقطع لا .. إن الشكل لا يغني عن الجوهر .. فالتسبيح بالروح والحق يعطي للصلاة فاعلية فوق أرضية تدخلنا في طغمات الملائكة، ولكن الجوهر أيضا يحتاج إلى شكل، كما تحتاج الفكرة إلى مثال وكما يلزم للمعنى إطار. ألم تر رب المجد يردد كثيراً : "يشبه ملكوت السموات .. " .. ألم نقرأ في الكتاب المقدس أن الملائكة تظهر للناس في ثياب ناصعة

البياض وهي خلائق غير مادية. إن الشكل يعبر عن الجوهر .. وهناك نقطة أخرى .. أن كل جوهر مجرد دون شكل، تنتفي معه امكانية التفاعل الصميمي.

+ مش فاهم حاجة !!

- في الإنسان اجتمعت الطبيعة المادية مع الطبيعة الروحية، ولابد لكل عمل كي يدخل إلى عمق الإنسان أن يتفاعل مع الطبيعتين: نحن نأكل ونشرب الجسد والدم الإلهيين فنتحد بالله .. نحن نشم البخور فنرفع أفكارنا إلى العرش الألهي (نش ١: ١٢)، نحن نسمع القراءات والصلوات فتنشغل أذهاننا بوصايا الرب .. نحن نقف ونركع ونسجد ونرفع أيدينا ونقرع صدورنا فتنسحق نفوسنا اتضاعاً وندماً وتوبةً أمام المخلص له المجد .. الخلاصة أن كل عقيدة أو فكرة تحتاج إلى شكل يجسدها ولو بالكلمات، وكل فكرة أو مبدأ نعتنقه لا معنى له إن لم نترجمه إلى سلوك وحياة ومواقف.

+ يعني المفروض أن التزم بنظام الكنيسة دون فهم؟

- بتاتاً .. بل إسأل وافهم وناقش، وتذكر ما قاله الرب أننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. إن خضوعي لأب اعترافي في الإرشاد الروحي، وجهادي لتنفيذ وصايا الرب في الإطار الذي وضعته الكنيسة، هو إقرار مني بضعفي وقصوري عن الانتصار على الخطية العاملة في، واستدعاء للرب ليعمل في داخلي، هذا هو عمل النعمة الخفي الذي لا يرى، هذا هو الجزء المخفي من الصليب داخل الأرض، هذا هو الحب الذي ينمو والناس نيام، هذا هو سر المسيح وهذا هو النصيب الذي لا ينزع منا.

+ يعني أؤمن بدون عقل؟

- الإيمان يسبق العقل ولكنه لا يلغيه، نحن نقبل الكتاب المقدس ببساطة الإيمان فنعقله ونفهمه ونستوعبه.

+ إذن اتفقنا، فأنا أومن بالمسيح وأعي ذلك بعقلي، وافكر في كلمات الإنجيل وما لا أفهمه أصلى وأقرأ وأسأل واناقش حتى أصل إلى الفهم الأرثوذكسي. أليست الروح العاقلة هي صورة الله في الإنسان؟

- معك حق ..

١٤ـ الفكر والعاطفة

يمتد هذا الاتجاه الفكري إلى بعد آخر هو ثنائية العقل والقلب وبينما نعلي من شأن القلب ونقاوة القلب وأعطاء القلب وتكريس القلب، ننظر بنظرة الشك إلى العقل.

فالعقل - في رأي بعض الناس - هو أساس المشاكل، والتفكير في علاقتنا بالله يحولها إلى علاقة جافة، وإعمال العقل يحرم المؤمن من اضطرام القلب في عمل التوبة وفي الخدمة، حتى أننا كثيرا ما نسمع الناس يصفون شخصاً واسع الثقافة بأن القراءة الكثيرة قد افسدت مخه. ويتردد هنا قول شائع "أنه بينما يتجادل اللاهوتيون يتسلل البسطاء إلى ملكوت السموات" وتصوروا معي لو كان معلمو الكنيسة الكبار أمثال أثناسيوس وكيرلس وساويرس وغيرهم قد التزموا بهذه المقولة، واعتذروا عن عدم الاشتراك في المجامع المسكونية، إلى أية حال كان سيصير حال الإيمان المسيحي اليوم ؟.. **ولكن هناك فرق شاسع بين التفكير والحوار العقلاني وبين مجرد الجدل**[١٣] .

ولكن الكتاب المقدس حين يتحدث عن القلب أنما يعني العقل والأمثلة كثيرة:

لقد علم الرب أفكار قلوبهم والمقصود طبعا أفكار عقولهم (مر ٢: ٦ -٨) وسليمان الحكيم يتحدث عن القلب الذي ينشئ أفكاراً (أم ٦: ١٨) والمقصود أيضا العقل.

كما يشار إلى القلب في مواضع كثيرة بمعني الإرادة (نح ٤: ٦+ مز ٦٢ : ٢١)، وأيضا بمعني العاطفة (تك ٦: ٦ + ٢كو ٢: ٤ + جا ١١ : ١٠)

والأمثلة في الكتاب المقدس عديدة على أن القلب والعقل مترادفان. وأعني العقل بملكاته الثلاث: الفكر والعاطفة والإرادة، (فهرس الكتاب: ص ٤٨٩ إلى ٤٩٢)

والمقصود بنقاوة القلب هو خلو الذهن من كل حقد أو شهوة أو حسد أو كبرياء أو خوف أو إدانة، كما وأن المقصود بتكريس القلب هو وجود اتجاه محوري في الحياة تتركز حوله طاقات الإنسان.

وفي رأيي أنه **لا يوجد ما يسمي بعاطفة مستقلة عن العقل،** فنحن نحب لسبب أو أسباب، ونخاف أو نكره، ونقبل أو ننفض لسبب أو أسباب، ولو جردنا أية عاطفة من أسبابها

---

[١٣] **الجدل** هو نقاش يهدف كل طرف فيه إلى فرض وجهة نظره مفترضاً أنه يملك الحقيقة المطلقة، وبديهي أن الجدل لا يمكن أن يفيد على أي مستوى .

نصبح كمن يقول أنه قد أحب من أول نظرة (وهو مفهوم شائع في الأفلام). ولا يختلف إثنان في أن الحب من أول نظرة ليس حباً على الإطلاق بل هو غالباً رغبة أو نزوة تتستر تحت اسم الحب. فالحب كائن حي يولد صغيراً ضعيفاً في صورة ميل أو إعجاب، وينمو ويكبر مع الفهم والاختبار والشركة والجهاد والعطاء المتبادل، وقد يضعف أو يموت إذا لم يجد غذاءه الكافي. إن الحب الحقيقي حياة تبدأ وتنمو وتبني على أسباب منطقية، في صورة جهاد مشترك وقبول مشترك وارتياح مشترك، وهو ما نسميه بالعواطف المتبادلة... وهكذا نحن أيضاً في علاقتنا مع الله.

الله أحبنا أولاً، صحيح أننا نقول أن الله أحبنا "بلا سبب"، بمعني أنه أحبنا بلا سبب فينا، أي ليس فينا من صلاح يستدعي حبه، أحبنا فضلاً منه ولكنه لديه أسبابه لحبنا، ببساطة لأن جوهر الله محبة ولا يستطيع إلا أن يحب، ونحن أيضا نحبه لأسباب قوية. نحبه لأنه يترجم حبه لنا في صورة أعمال محددة، فهو يعتني بنا ويحمينا ويقيتنا ويقدم لنا الخلاص من المو . إذن متى شعرت بانجذاب نحو فكرة ما أو شخص ما، أو نحو الله ذاته ، ينبغي أن أحلل ميلي هذا وأفهمه، وبهذا أؤسسه على صخر الحقيقة وليس على رمال الأهواء.

إن حصر الحياة الروحية في دائرة العاطفة أو ما يسمي بالقلب يجعلها شيئاً شبيهاً بالحب من أول نظرة، قد يكون قوياً، وقد يكون غالباً، ولكنه بالتأكيد لن يكون حقيقياً ولا دائماً، ولا مستعداً لاجتياز الصعاب من أجل المحبوب، والتشبيه البديع الذي سمعته من أحد الأساقفة الأجلاء: **أن البداية في الحياة الروحية بالحماس العاطفي وحده تشبه نار القش، ترتفع سريعاً، ثم تخمد في ثوان ... إذا نحب يا أخوتي "لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق" (١ يو ٣: ١٨).**

يعترض البعض بأن إرجاع كل شيء إلى أسباب منطقية قد يفقدنا بساطة الروح، وأنه ينبغي أن نأخذ كل شيء ببساطة، ويمتد هذا المطلب حتى إلى الحقائق العقيدية مثل سر الثالوث، فلنقبلها ببساطة دون جدل أو مناقشة. والمعني الكامن هنا " نقبلها دون فهم". **وهنا أرجو أن يكون الفرق واضحاً بين بساطة الروح، وبساطة العقل. إن بساطة الروح تعني القدرة على التسامح ومحبة الأعداء والخروج من أسر الأنانية ومقاومة أفكار الحسد والشهوة.. أما بساطة العقل فهي في كلمة واحدة تساوي الجهل أو السذاجة!**

واقرأ معي ما يقوله القديس بولس "أيها الإخوة لا تكونوا أولادا في أذهانكم ، بل كونوا أولادا في الشر وأما في الأذهان فكونوا كاملين - ١ كو ١٤ : ٢٠"

أن كنتم غير متفقين معي حول الفكر أم العاطفة وأيهما هو السبيل إلى الارتباط بالله، ابحثوا في الأناجيل الأربعة محاولين الإجابة على سؤال محدد: لماذا أحب الناس رب المجد يسوع المسيح؟ أم أنهم أحبوه بلا سبب؟

إن الكنيسة التي أنجبت القديس بولس البسيط وغيره من القديسين البسطاء، أنجبت أيضاً المعلمين العظام بنتينوس وكليمنضس وديديموس وأوريجانوس وكيرلس وساويرس وأثناسيوس الرسولي، والجميع كانوا ميداناً خصباً لعمل الروح القدس. فحتى القديس بولس البسيط لم يكن يعبد إلهاً لا يعرفه، فكيف يحب إلهاً مجهولاً، **وإذا استبعدنا العقل والبحث، فكيف نحصل على المعرفة إذن؟! هل ننتظر الإلهام السمائي أم الحَدْس الغيبي؟!**

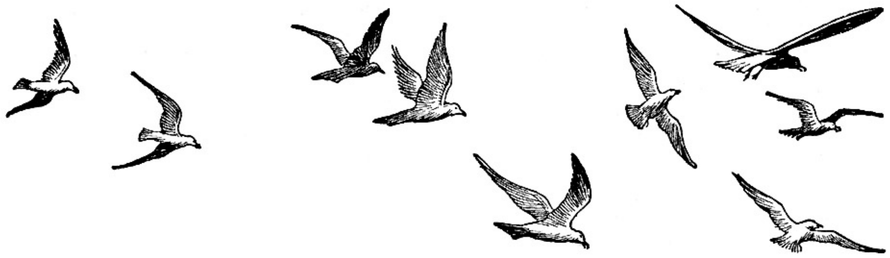

١٥- الروحنة الحالمة

وهكذا تتحول علاقتنا مع السيد المسيح إلى علاقة عاطفية وجدانية ! فإذ تربى شبابنا على تعطيل فكره والتخلي عن إرادته، لا يبقي له سوى الشحن العاطفي!!

ويتجمع الناس بأعداد كبيرة حول من يملأون ساعات الوعظ بالكلام الذي يمس شغاف القلب!! وكم سمعنا من عظات في جمعة الصلبوت تندد ببيلاطس الجبان!! وتشجب يهوذا الخائن، ورثاء وتأبين للمسيح المسحوق الذي مزقت جسده السياط والأشواك والمسامير .. وتفيض الدموع، وتكفهر وجوه الناس وكأننا في سرادق عزاء ![١٤] وينسى الناس أن السيد المسيح قد رفض هذا، حين طلب من بنات أورشليم ألا يندبن عليه (لو ٢٣: ٢٨) فلا ينبغي أن نحزن شفقة على المسيح فهو لا يحتاج إليها، **بل يريد من كل منا أن يواجه ذاته وأنانيته، ويجاهد بدموع وعرق ودماء حتى يكسر - بنعمة الرب -التمركز حول الذات ليعطي حبه للآخرين، حتى الأعداء منهم. وليس معنى هذا أن نستقبل الصليب بالأفراح، نعم أحزن ولكن على ذاتيتي التي اتمسك بها وأمامي المصلوب يغفر لمن عذبوه.**

ويبدو تأثير هذا المنهج العاطفي واضحاً في مرحلة المراهقة، إذ تكون العاطفة قوية، وسرعان ما يلتهب الشاب في حياة التوبة والخدمة، وهو أمر طيب لو اكتمل بفهم لكل أبعاد الصليب، وإدراك لمعنى المسئولية تجاه الآخرين. **أما إذا اقتصر على الشحنة العاطفية فإنه يكون بناءاً مؤسساً على الرمال، قد يرتفع عالياً، ولكنه يسقط أمام أول عاصفة. وكم من شاب ترك المسيح بسبب علاقة عاطفية كانت أقوى من عاطفته الدينية، لغياب قناعته الفكرية ورضاه الإرادي بتبعية المسيح.**

وليس ببعيد عن الذاكرة ذلك الواعظ الذي تمركز في الصعيد وتجمع حوله الآلاف يحضرون إليه من كل بلد بعيد، ظانين أنه سيقودهم إلى المياه الحية! ولكن ليعودوا عطشى كما ذهبوا، ولما تنبهت إليه الكنيسة وأبعدته عن موقع التعليم ذهب، ولكن بعد أن جذب معه عدداً من هؤلاء "الدراويش".

---

[١٤] **بدأ تقليد غريب في الانتشار، وهو ذهاب السيدات لحضور صلوات الجمعة العظيمة في ثياب سوداء، بعض الرجال أيضا يضعون أربطة عنق سوداء!** وحين سألت أحدهم عن السبب، أجابني: أليست هذه هي الذكرى السنوية لموت المسيح !! ناسين أن آلام الصليب لا تتعارض مع فرحة الخلاص بل إن الرب نفسه قد احتمل آلام الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه.

إن الشاب الذي يبني علاقته مع الكنيسة على أساس العاطفة والحماس وحدهما عادة ما يتخذ طريقاً من ثلاث: فإما أن تخمد نار الحماس سريعاً، وإما أن يتقوقع منعزلاً عن المجتمع، حاصراً فكره في حياته الداخلية، مترجماً هذا أحياناً إلى قرارات متسرعة بالتكريس، وإما أن يخرج إلى الناس زاعقاً داعياً إلى التوبة هرباً من الجحيم! كما خرج "دون كيشوت" كفارس أوحد يقاتل الأوهام! وأخيراً يُحمل إلى داره منهك القوي، يعزي نفسه بأنه قد أدى رسالته، وليس ذنبه أن الشر قوي في العالم. ولا يدري أنه قد أساءَ إلى سيده المسيح إساءةً بالغةً، وأن موقفه لا يختلف عمن طلبا من الرب أن يحرق مدينة رفضت قبولها، فانتهرهما لأنهما لم يفهما ما الذي يهدف إليه الرب من الكرازة (لستما تعلمان من أي روح .. لو ٩: ٥١ - ٥٦).

ولقد شاهدت شباباً يصطدمون بعقبات كثيرة رغم أنهم كانوا يلتهبون حماساً للتوبة أو الخدمة، **وإذ كان هذا الحماس دون فهم كاف للحياة المسيحية وللمنهج الأرثوذكسي في التوازن بين التأمل والعمل، وبين النسك والمعرفة. سرعان ما تبددت خمر الحماس، وإذ بهم يسقطون من سماء الشعارات على أرض الواقع الصلبة . إن رب المجد يسوع لم يتجسد من أثير بل من لحم ودم.** وقد تجد أحياناً شاباً متحمساً متفهماً ولكنه يفتقر إلى إرادة الفعل أو إلى اتخاذ الموقف الإيجابي الذي بدونه لا معني ولا قيمة للحياة، ولعل هذا هو نفس موقف الشاب الغني بعد حواره مع السيد المسيح، حين وجد أن الكلفة أكثر مما يحتمل (مت ١٩: ١٦ - ٢٢).

الخلاصة أن التهاب العاطفة نحو المسيح يكون نتيجة للاختبار والمعرفة، فحب التلاميذ للمسيح قد تأسس على أنهم قد ثبتوا معه في تجاربه (لو ٢٢: ٢٨)، وليس لأنهم قد استهوتهم كلماته أو تاهوا فخراً بمعجزاته.

إنما التعليم السليم هو الذي يغذي الفكر، ويشحن الوجدان، ويحرك الإرادة ليستثير الإنسان إلى مراجعة مواقفه وتعديل حياته إلى الأفضل، وسنعود إلى هذا تفصيلاً.

القول المريح في إنجيل المسيح

رغم أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تبدي اهتماماً فائقاً بشرح وتفسير الكتاب المقدس، حتى أنه يمكننا القول بحق أنها كنيسة إنجيلية، إلا أن كثرة من الأقباط يحلو لهم أن يتعمقوا تعمقاً خاصاً في فهم آيات الكتاب معتصرين المفهوم الروحي الكامن في جذور الكلمات، لتخرج آيات الإنجيل من معصرة البشر وقد اكتسبت مذاقاً خاصاً متروحناً محلقاً في سماء "الرحرحة" !!

فما دام الرب يحرس المدينة فلينام الحراس إذن، ولا داعي للسهر باطلاً. وإذا دخل لص أو سارق فلا خوف فالخراف لا تعرف صوته ولن تتبعه. وإن تفضل ذئب بالزيارة فلا جزع فالرب هو الأسد المنتصر .. ولنستمر نحن في النوم والغطيط !!

ومادامت بركة الرب تغني، فلماذا التعب، وما الداعي إلى إجهاد العقل في التفكير والإعداد والتخطيط والترتيب؟ وإن واجهتنا مشكلة ما، فالرب يقاتل عنا ونحن صامتون، وإن لم نصل إلى هدف فلا شك أن الروح القدس هو الذي منعنا من الوصول، وإن خاننا التصرف وبددنا القطيع فلنا أسوة حسنة في رحبعام بن سليمان الذي وهبه الله الحكمة السمائية ، فلا نتزعج ولنستمر في النوم والغطيط!!

وهنيئاً للخدام بالراحة، فلا داعي للجهد في التحضير والدرس والإطلاع، فالرب حاضر وسيعطينا كلمة عند افتتاح الفم، وهو كفيل أيضا بأن ينخس قلوب السامعين! ومهما فعلنا نحن - العبيد البطالون - فلن نحب الكنيسة أكثر من الرب الذي اشتراها بدمه .. وما دامت عين الرب علينا فلنغمض نحن عيوننا ولنستمر في النوم والغطيط!!

لقد أمر الإنجيل أن ندع الأولاد .. وفعلا ندعهم "في حالهم" ، إن أتوا .. خير وبركة، وإن لم يأت أحد فلابد أنه من نوعية ابن الهلاك الذي سقط ليتم الكتاب، حقا هذا هو الفهم البديع لكلمات الرب السميع!!

وتتصاعد أصوات الغطيط، وأنفاس النائمين الثقيلة، ثم تتكثف فوق المدينة سحاباً قاتماً يحجب عنها نور السماء.

١٦ـ الغيبـــــيات

في أواخر عام ١٩٦٨ ترددت إشاعة تقول أن الحكومة قد قررت فرض تحديد النسل وذلك بحقن تلاميذ المدارس الابتدائية في بطونهم! وانتشرت الإشاعة في لمح البصر وتوقفت الدراسة في أغلب مدارس القاهرة، وفر التلاميذ هاربين، بينما خرجت الأمهات إلى الشوارع يصرخن كل على أولادها !!

ويحلو للناس أن يرددوا قصصاً و"حواديت" لا أساس لها من الصحة، ومنها ما شاع منذ سنوات أن السيدة العذراء قد ظهرت لأحد الناس وهي ترتدي ثوباً أسود مكتوب عليه أربعة أربعات (٤٤٤٤)، وفسر هذا بأن يوم الأربعاء ٤/ ٤/ ١٩٨٤ سيكون يوماً أسود في حياتنا - لا قدر الله - وسرعان ما ذاعت القصة!

ويردد الناس هذه "الحواديت" في تلذذ وانبهار حتى يتضح زيفها، ورغم هذا فالجميع مستعدون لترديد أية "حدوتة" جديدة بنفس الشغف، ولا يتوقف واحد ليبحث معقولية هذه الحواديت أو الإشاعات.

ومن المحزن أنني في اجتماع للشباب سمعت قصةً عن راهب كلف بالانتقال من ديره ليخدم في مكان آخر، ولما سئل عما يحتاج اليه في المكان الجديد لم يطلب سوى محتويات قلايته من كتب وأثاث، وما أن قال هذا حتى انتقلت محتويات القلاية في لمح البصر إلى المكان الجديد على بعد مئات الكيلومترات! ولما رفضت هذا الكلام، صاح الشباب: أليس الله بقادر على نقل الأثاث؟ فأجبت: ولم يقوم الله بنقل الأثاث؟ وأين السيارات والسكك الحديدية التي تقوم بهذا؟

وفي نفس الاجتماع روت لى طالبة جامعية عن مصدر موثوق به، على حد قولها، أن شخصاً ذهب يطلب الرهبنة في أحد الأديرة ولما رفضه الدير لسبب ما، ألح هذا الشخص طالباً تخصيص قلاية له داخل الدير، وإذ لم يجد موافقة من الدير أخرج من جيبه حبلاً ربطه في باب القلاية ومضى وأخذ القلاية معه!! وذات مرة أكد لي شاب جامعي أنه يؤمن أنه لو أعطى كل طاقته للخدمة فسوف يتفوق في الامتحان حتى ولو لم يذاكر! بينما أعربت شابة عن ثقتها أنها لو اهتمت بحياتها الروحية فستأتيها الوظيفة دون بحث منها!

ومادام العقل في أجازة، فالبديل هو إلقاء المقادير على الغيبيات، وتعليق أهم القرارات على أمور غريبة، مثل إلصاق عملة بزجاج أيقونة أو رش بعض الرمال على ورقة الإجابة، وانتظار التفوق حتى لو لم يكن الطالب مستعداً على الإطلاق!

وقد شاهدت بعيني رأسي القديسة العذراء مريم وقت ظهورها في الزيتون في ربيع ١٩٦٨، وظللت أهتف طالباً منها أن تهبني النجاح في الدراسة، ولو كنت قد أكتفيت بهذا دون الانكباب على دروسي استوعبها لما قدر لي النجاح، وربما كنت وقتها ألقي اللوم على العذراء لأنها تخلت عني وتركتني أعاني مرارة الرسوب!

نعم أننا نؤمن بشفاعة القديسين، نعم أننا نؤمن بيد الله الفاعلة في حياتنا، ولكن الله لا يفعل لنا ما نستطيع نحن أن نفعله. وهو ما نراه واضحاً في موقف المسيح عندما أقام لعازر حيث كان للناس دور. **ينبغي إذن أن نبذل أقصى جهدنا، وما نعجز عنه يعمله الله، الذي يعين ويكمل، ولكنه لا يهب نعمته للكسالى .**

ينبني على هذا مفهوم شائع عن" القسمة والنصيب"، وأن كل واحد "بياخد نصيبه"، و"أجري يا بن آدم جري الوحوش، غير رزقك لن تحوش" و" الحذر لا يمنع القدر" فضلاً عن المثل الشعبي المشهور " المتعوس متعوس...." ! ويحضرني هنا موقف سائق تاكسي-كان ينطلق بسرعة مفزعة، ولما طلبت منه إنقاص السرعة، أجابني أنه لو كان مكتوباً لنا أن نصاب بحادثة، فسوف تحدث حتى لو سرنا ببطء، ولو لم يكن مكتوباً فلن نصاب بشيء حتى لو انطلقنا بسرعة ١٤٠ كيلو مترا في الساعة !

وأذكر معرضاً للكنيسة خططنا له أن يضم عشرين قسماً، وإذ تكاسلنا في العمل ، تكون المعرض من عشرة أقسام فقط، فقلنا " لو كان ربنا يريد" لاكتملت الأقسام العشرين !!..

وواضح أن هذا مجرد تبرير للكسل ، وهو أيضا منهج مريح إذ يخلي الإنسان مسئوليته تماماً، فكل ما يحدث هو إرادة إلهية. وقد شاهدت في برنامج تليفزيوني شخصاً قتل طفلته، ولما سألته مقدمة البرنامج: كيف طاوعه قلبه على ذبح طفلة، أجاب : هذه إرادة الله، فلو لم يكن الله يريد قتلها لكان قادراً على شل يدي قبل أن تمسك بالسكين !!

الثابت من نص الكتاب المقدس أن الشعب كان يتحرك في البرية تقوده سحابة تشير إلى العناية الإلهية، وأنهم كانوا يرتحلون ويقفون ويقيمون حسب حركة عمود السحاب. ومع هذا

نرى موسى النبي العظيم يطلب من حوباب بن رعوئيل المدياني أن يرحل معهم كدليل في البرية (عد ١٠: ٣٣)، فهل هذا ضعف إيمان من موسى أم أنه كقائد حكيم يجتهد ليعد للرحلة أفضل إعداد؟ وما لا يستطيعه الشعب يستطيعه الله. فالله ينزل المن من السماء، ويخرج الماء من الصخر، أما الشعب فهو الذي يجمع المواد ويكد ويعمل ليبني خيمة الاجتماع. ألم يكن الله قادراً أن يبنيها في لحظة حسب المثال الذي يريده؟!

وواضح أنه لا يمكن حسم هذه القضايا قبل تعديل المنهج الفكري الذي يدفع الناس إلى أسهل الحلول، وإلى تعليق النجاح على حفر اسم الطالب على الأيقونة، أو ترجيح اختيارات مصيرية كالزواج أو الهجرة بأجراء قرعة أو طلب أمارة معينة !

إنما هو استمرار للمنهج الذي شرحناه من قبل: **العجز عن اتخاذ القرار، بل والعجز عن مواجهة مسئولية الحياة، تلك الهبة العظيمة التي منحت لنا. وهكذا يتحول الناس إلى متفرجين على حياتهم، بينما المنهج المستقيم يجعل لله دوراً وللإنسان دوراً، وبديع هو قول الآباء الرسل في مجمعهم ".. قد رأي الروح القدس ونحن - أع ١٥ : ٢٨".**

أن هذا الموقف السلبي المتواكل ينعكس على الحياة كلها، وبينما ينطلق الناس في الغرب والشرق يعملون، مازلنا ندور في قضايا حسمت منذ دهور: هل يتعارض الإيمان مع التخطيط؟ هل يتعارض الإيمان مع العقل؟

هل هذا هو الباب الضيق الذي طلب منا المسيح أن نجتازه؟ أم هو الباب الرحب السهل الذي يؤدي إلى ... لا قدر الله!

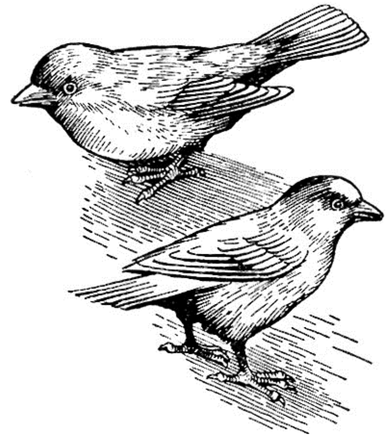

شيء لزوم الشيء!

شكرا للرب الذي ملأ كنيستنا بالقديسين والشهداء الذين لا ترد شفاعتهم. والحق أنه لا يوجد مثل القبطي في تكريمه واعتزازه بقديسي كنيسته المحبوبة. ويأخذ هذا التكريم صورا عديدة ، أبرزها بناء الكنائس على أسماء القديسين وانشاء المقصورات التي تضم صورهم وأجسادهم المباركة، فضلا عن نظم التسابيح والتماجيد التي تروى سيرهم المضيئة. بينما يرى آخرون أن التكريم الحقيقي يظهر في التشفع بهؤلاء القديسين وتلمس بركاتهم وطلب وساطتهم في الضيقات.

ولكن بعض الناس لا يكتفون بهذا، بل يرون أن المسيحي المؤمن لا يكرم قديسه المحبوب كما يجب إلا بحضور الموسم السنوي الذي يقام عادة في أحد الكنائس أو الأديرة. ورغم التناقض في إطلاق اسم "**المولد**" على هذه المواسم حيث أنها تقام عادة في ذكرى نياحة القديس أو إستشهاده، إلا أن هذا لا يشغل بال هؤلاء. فهم يرون في نصب الاحتفالات ونحر الذبائح واقامة السهرات - الروحية طبعاً - أمراً أساسياً في إعلان حبهم لصاحب المولد، فضلا عن الحمص والمراجيح وألعاب النيشان فهذه أمور لا مفر منها، فاذا كان المولد شيئا، فهذه الأمور هي الشيء لزوم الشيء!

ويقيم الناس فترات طويلة في هذه المواسم، وتتعارف الأسر المتجاورة في الغرف أو الخيام، ويتبادل الناس أكواب الشاي ثم حلل المحشي ، وسرعان ما تمدد العلاقات وتنبسط النفوس وتنفرج الأسارير ويرتبط الناس بوشائج المحبة - الروحية طبعا - !

وغريب حقا ما أشاعه بعض هؤلاء الناس عن تخصصات للقديسين! فهذا الشهيد متخصص في رد المفقودات ومن ضاع منه شيء يلجأ إليه وينذر نذراً محترماً .. وذاك متخصص في شفاء الأمراض، وهذا في حماية الأطفال، وذاك في إزالة العكوسات وفك الأعمال، وآخر في الشفاء من العقم .. وهذا .. وذاك .. ومن يعلم فربما تزداد القائمة ليصبح لدينا من هو متخصص في تخليص الجمارك، وآخر في إنهاء أوراق السفر وثالث في إحضار عقود العمل من الخارج !! ويشهد الكاتب بنفسه أنه رأى صديقا قبطيا ينذر نذراً لأحد الشهداء المكرمين، إذا فاز ناديه المفضل في مباراة لكرة القدم !!

ويستجيب كثيرون لهذه الأفكار، ويتوقفون أمام مشاكل حياتهم في شلل، فقد كتبوا المشكلة في ورقة وحشروها في الصندوق الزجاجي الذي يحوي رفات قديسهم المفضل. وقد شاهدت من يصرون على فسخ زجاج الأيقونة لوضع الورق بداخله، من يثابرون وقتا طويلا محاولين إلصاق قطعة نقود بزجاج المقصورة، وهو تصرف - في رأيهم - سليم تماماً، إذ يستند إلى أن القديس يتذكر الملتصقين به وليس المبتعدين عنه!

وعبثا تحاول إفهام الناس أن الله لا يقدم لنا ما نستطيع نحن أن نفعله لأنفسنا، وأن السماء لا تعين الكسالى، وأن إكرام القديسين هو في الاقتداء بسيرتهم، ولكن دون جدوى، فهذا الكلام يعتبرونه هرطقة وخروجاً على الرأي المستقيم وتحطيماً لقواعد الإيمان المصون، وإنا لله وإنا إليه راجعون !

١٧ـ الإيمـان والعـلم

إن الضرر الأساسي الذي ينجم عن الخفض من شأن العقل هو ذلك القصور الشديد عن استيعاب متغيرات العصر ومعطياته. إننا نسمع كلاماً كثيراً تحت عناوين مثل روح العصر، تحديات العصر، أفكار العصر، مبادئ العصر،... ولكن جدير بنا أن نتفق أولا على مفهوم هذه الكلمة الزئبقية "العصر" .

إن المسألة بإيجاز هو أنه في كل حقبه زمنية يصل الناس، بعد محاولات مضنية إلى أسلوب للتفكير، واتجاهات للحياة، يتأكدون من سلامتها، إذ برهنت على نفعها في التصدي للمشكلات الملحة التي يقابلونها في حياتهم. ولا خلاف في أن عصرنا هذا هو عصر العقل .. عصر البحث الدوؤب عن المعرفة، وتطبيق المعرفة (التكنولوجيا).

هو عصر العلم إذن، وينظر البعض إلى العلم فيرفضونه ويقولون أنه لا يتفق مع الإيمان، ونسمع كلاماً عن العلم والإيمان، ولكننا في قرارة أنفسنا لا نطيق المنهج العلمي، وعلى حد قول المفكر والفيلسوف د. زكي نجيب محمود[١٥] "إن مضجع العلم خشن على جلودنا" وقد يدرس الشخص أحدث العلوم ، بل قد يدرِّس العلوم ، ولكنه نادراً ما يترجم دراسته إلى سلوك وحياة. ولعلنا نقرأ من وقت لأخر عن الدجالين وكيف يتردد عليهم المتعلمون، وأحياناً - وواحسرتاه - الأساتذة والمعلمون! ويضرب القارئ كفاً على كف حين يري من يدرس العلم الحديث لتلاميذه، يذهب إلى دجال ليقرأ له الكف أو يفتح له "الكوتشينة"[١٦] !

وفي أكثر من اجتماع سألت الشباب: هل الإنسان مخير أم مسير؟ (أعني طبعاً في الأفعال الإرادية)، فأجاب الكل بالإجماع: مخير طبعاً، حُر الإرادة .. فقلت: عظيم ولكن من منكم لا يوجد بداخله إيمان ولو بقدر ضئيل أن كل شيء نصيب، وأن " المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين "؟ وفوجئت بالصمت يسود المكان !.. وهكذا ترون أننا لا نحيا ما نعرفه، **والعجيب أن كثيرين يصرون على أن المعرفة أو العلم لا تؤدي إلا إلى الشك واهتزاز**

---

[١٥] ثقافتنا في مواجهة العصر- صفحة ٧١ - دار الشروق – الطبعة الأولي ١٩٧٦

[١٦] في رحلة جامعية أعلنت أنني سأفتح " الكوتشينة " لكل من يرغب ، وقلت للمتقدمين أي كلام ، ورغم تأكيدي بأنني أقول أي كلام ، إلا أن طلاب الهندسة استمروا في التزاحم كل يريد أن يري "بخته" !

الإيمان . ويقدمون حججاً يدللون بها على أنه لا صلح ولا اتفاق ولا تعايش بين الإيمان والعلم! ... فيقولون:

- في العلم لا شيء يقيني، فالنظريات العلمية تتبدل وتتطور كل يوم، بينما قدم الإيمان حلاً نهائياً وأجاب على كل سؤال. أو بمعني آخر **أن الإيمان مبني على ثوابت بينما النظريات العلمية لا يمكن أن تثبت بصفة نهائية.**
- العلم مبني على القياس والملاحظة، بينما الإيمان وتوابعه لا تقاس، فكيف نقيس عمق الإيمان أو قوة الرجاء. **فالعلم مبني على المنظور والمحسوس،** بمعني أن العلم يتعامل مع كل ما يدخل في نطاق الحواس، **بينما الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى (عب ١١: ١).**
- العلم يسعى إلى القوانين التي تحكم الكون، بينما الإيمان قائم على الخوارق والمعجزات، أو بمعنى أخر **العلم يسعى إلى اكتشاف القوانين، بينما الإيمان قائم على كسر القوانين.**
- **العلم محدود بطاقة العقل ، بينما الإيمان يتعامل مع حقائق تفوق العقل** مثل سر الثالوث أو غيره من الأسرار الإلهية.

فهل يوجد حل لهذا التناقض الظاهر ؟ نعم يوجد حل!!

ولنفند هذه الحجج واحدة فواحدة...

١- نعم... العلم يصل إلى نتيجة ما ويؤكدها، ومع تطور البحث العلمي وتقدم أساليبه تتعدل هذه النتيجة .. وبالقطع لابد أن تكون نتائج البحث العلمي متغيرة، لكن منهج البحث من حيث السعي وراء الظواهر، وتحليل المشاكل، وفرض الحلول، وصياغة القوانين، وعدم قبول أية حقيقة دون برهان، والاستناد إلى التجريب والتفكير المنطقي، وأخذ كل المتغيرات في الاعتبار عند صياغة القانون العلمي .. إلى آخر ما يميز المنهج العلمي، هذا لا تغيير فيه .. **المنهج العلمي ثابت ولكن النتائج تتطور .. وهكذا أيضا الإيمان ..**

إن مبادئ الإيمان ثابتة، ولكن ثماره تتنوع من عصر إلى عصر. لقد أفرزت محبة المسيح في القرن الأول مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، وفي القرن الثاني ملايين الشهداء، وفي القرن الثالث آلاف الرهبان والراهبات، وفي القرنين الرابع والخامس المعلمين الكبار والمدافعين عن

الإيمان .. وهكذا حتى القرن العشرين حين افرزت فكرة التربية الكنسية، والقرن الحالي القنوات الفضائية التي تكرز بالإيمان.

المنهج واحد، وهو كيف يحيا الإنسان إيمانه بالمسيح، أما الأسلوب فيختلف، ورُب أشياء سادت في عصورٍ رفضتها عصورٌ تلتها، والأمثلة كثيرة: منها الموقف من صلاة القداس يوم الجمعة أوتعريب الصلوات أو اختلاط الجنسين داخل الكنيسة.

ولا ترفض الكنيسة أية فكرة لمجرد أنها جديدة، وإلا فخبروني قبل ثلاثين سنة، كم كنيسة كان لديها مكتبة صوتية أو نادٍ رياضي أو مكتبة للبيع أو مشاغل لتعليم البنات أو خدمة منظمة لأخوة يسوع .. كم بيت للخلوة كان مفتوحاً للناس، وكم لقاء صيفي كان يعقد على الشواطئ لخدمة الشباب؟

إن عدم يقينية النتائج وتطور العلم وتعمقه، يرى فيه العلماء القدرة اللانهائية وراء خلقة هذا الكون، وكيف أن العلم يكتشف كل يوم قليلا قليلا من الحكمة الإلهية.

٢- وماذا عن إستناد العلم إلى القياس، وكيف نقيس عمق الإيمان أو قوة الرجاء؟ **بديهي أننا لا نستطيع أن نقيس إلا ما يمكن قياسه.** وعندما تحدث الرب عن يوم الدينونة لم يفرز الأبرار من الأشرار قائلا لهم: لقد كان إيمانكم ثابتاً ورجاؤكم قوياً، **بل فرز الناس بناءاً على أعمال واضحة يمكن قياسها (مت ٢٥).**

وهذا هو المنهج المستقيم، تحدث عن المبادئ كيفما شئت ولكن أرني إيمانك بأعمالك، وهذا أيضاً يجيب على ما يقال بأن مجال الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى، بينما العلم محصور في نطاق الحواس، فأن لم تترجم هذه المسائل الايمانية غير المنظورة إلى نتائج مدركة بالحواس فلا قيمة لكل هذا الكلام.

الله موجود.. حقيقة غير مرئية، إن لم أترجمها في حياتي إلى ثقة بهذا الموجود، وسعي في الحياة بغير قلق، واطمئنان إلى أن العدل لابد أن يسود، ومواجهة للمخاوف دون تردد، لما كان لحقيقة وجود الله أثر في حياتي، أو بمعني آخر لا يكون الله موجوداً بالنسبة لي.

حين أحضروا المفلوج إلى المسيح، قال له: "مغفورة لك خطاياك"، وإذ تذمر اليهود سألهم "أيما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم واحمل سريرك وامشِ ؟... مر ٢: ٩"، ولا شك أن أي شخص كان يستطيع أن يقول للمفلوج "مغفورة لك خطاياك"،

ولكن المسيح - وهو الله الظاهر في الجسد - برهن على قدرته على المغفرة، بقدرته على الشفاء، ولو لم يخرج المفلوج سليماً، لأتهم اليهود السيد المسيح بالزيف والادعاء.
٣- يقولون أن العلم يسعي إلى اكتشاف القوانين التي تحكم ظواهر الحياة، بينما الإيمان مبني على المعجزات، أو باختصار الإيمان قائم على كسر القوانين.
وتعالوا ننظر حولنا، **كم من أمور حياتنا اليومية يسير طبقا للقوانين التي وضعها خالق الكون، وكم منها تسيره المعجزات؟**
وقد روى لي صديق أنه كان يسافر مع خبير أجنبي يعمل معه، وكان الخبير دائم السخرية من المهندس المسيحي لأنه يكثر من التشفع بمارجرجس، وأثناء الرحلة تعطلت السيارة، فسخر الأجنبي قائلاً: قل لمارجرجس أن يأتي ويصلح لنا السيارة .. وواضح خطأ هذا الكلام، فالسيارة تعطلت لإهمال في صيانتها، ولو كانت السيارة بحالة جيدة لما توقفت.
وما بالنا - نحن المسيحيين - لا نقوم بحل المشكلة الاقتصادية في بلادنا، بأن نحضر خمس خبزات وسمكتين ونصلي عليها ثم نطعم الشعب المصري كله، دون حاجة إلى القروض الأجنبية أو التوسع في الزراعة أو المعاناة من أجل التنمية؟
بديهي أننا لا نطلب تدخل الله المعجزي، طالما أننا لم نبذل أقصى جهدنا بعد، ومادام الحل في دائرة الممكن والمستطاع لدي الناس. وقديماً قدموا إلى يسوع المسيح فتىً محموماً فشفاه (يو٤: ٥٢)، والآن اكتشف الإنسان المضادات الحيوية التي تشفي الحمي، ولو أتي السيد المسيح في زماننا هذا من كان سيقدم إليه من المرضى، المصابون بالحمى أم المصابون بسرطان الكبد، وغيره من الأمراض التي لم يكتشف لها العلماء علاجاً بعد؟ .. **هل معنى هذا أنه لم تعد هناك حاجة بنا المسيح؟ بالقطع نحن محتاجون أشد الاحتياج إلى المسيح .. كل ما في الأمر أن حدود المستطاع وغير المستطاع لدي الناس قد اختلفت نحن نصلي إلى الله وندعو الطبيب ... الإيمان والأعمال معاً ... والله والإنسان معاً. إن القاعدة هي أن نحيا طبقاً لقوانين الكون والاستثناء هو المعجزات.**

وسوف تزداد إنجازات العلم، وستنمو وتتسع دائما دائرة المستطاع لدي الناس، وسنظل دائما وأبدا في حاجة إلى قوة الله الفاعلة حيث لم تصل بعد يد الإنسان[١٧] أما تعليق كل شيء على المعجزات فهو، مرة أخرى، دعوة إلى الكسل والتواكل. وهذا الكلام ينطبق أيضا على جهادنا ضد الخطية، فنحن نقاوم أفكار الشر، ونتحفظ ونشبع أرواحنا بوسائط النعمة، لكن نعمة الله هي الكفيلة بخلاصنا من بصمات الخطيئة داخلنا.

٤- ونأتي إلي النقطة الأخيرة، هل صحيح أن أسرار الله تفوق حدود العقل البشري؟ وليكن واضحاً أننا لا نتحدث عن الله ذاته، بل عن الأمور التي أعلنها لنا الله، لو كانت هذه الأمور لا يمكن للعقل أن يستوعبها، فكيف جرؤ الآباء القديسون على شرحها باستفاضة وتمكن؟! وقد تعرضنا لهذه المسألة من قبل.

ينبغي إذن أن نفرق بين الفكر الذي يتحدث عن الله في جوهره، فيصفه بأنه غير المحوى، غير الموصوف، غير المنطوق به، فجوهر الله أعظم من أن يستوعبه عقل إنسان، وبين الفكر الذي يتحدث عما أعلنه الله لنا فيشرح الثالوث، والعلاقة بين الأب والابن، وكيفية انبثاق الروح القدس من الأب وكيف يشهد الروح للابن ... وهكذا، ويفهم الناس هذه الأمور. إن القدر الذي أعلنه الله لنا من أسراره يمكن أن يستوعبه العقل تماماً. فمع أن الإيمان فوق العقل، إلا أنه لا يلغي العقل!

وأن شئنا الحق فأن افتراض التناقض بين العلم والإيمان، أو بين العقل والإيمان، يستند إلى حجج دخيلة على الكنيسة، خاصة كنيسة الأسكندرية التي أخرجت للعالم أول وأعظم مدرسة لاهوتية في الكنيسة كان منهجها الأساسي هو المعرفة.

إنما يرفض الناس العلم لأنهم لم يتدربوا على استخدام عقولهم، ولأنهم يستسهلون إلقاء مسئولية واقعهم على عاتق الله، بدلا من أن يجاهدوا من أجل تنمية حياتهم، وتحقيق قصد الله في خلقهم... ولم لا ؟.. أليسوا ابناء آدم الذي خلقه الله ووضعه في الأرض لكي يعملها ويحفظها!

---

[١٧] تتسع المشكلة الواحدة لعمل الله وعمل الناس في آن واحد، ففي موضوع نقص إنتاج القمح عن الاستهلاك، ينبغي أن يجاهد الناس نحو تخفيض استهلاكهم للخبز (المستطاع) بينما تصلي الكنيسة من أجل فيضان واف ومناخ مناسب يأتي بمحصول أوفر (غير المستطاع لدي الناس) (لو ١٨: ٢٧).

المكرسون في الأرض

التكريس مجال هام جداً من مجالات الخدمة ، وقد التقينا بشخصيات مختلفة وسجلنا هذه الانطباعات

لا ينبغي للمكرس أن يضع لنفسه خطة ما، فالتكريس جندية، والجندي لا يقرر لنفسه، بل يتلقى الأوامر فينفذها دون تردد .. ودون تفكير، **عضو مجلس كنيسة**

مهم جدا أن نزيل كل العقبات من أمام المكرس لكي ينطلق في خدمته الفعالة، فقط ينبغي أن يستأذن قبل أن يفعل أي شيء، وكل شيء، **أبـونا**

اننا نثق تماما في الأخ المكرس، حتى أننا قد سلمناه كل مفاتيح الأبواب، ودواليب كتب الترانيم والخولاجيات ولفائف التناول وملابس الشمامسة والمعمودية ومخزن الصابون و(الديب فريزر) ومكتبة الاستعارة ... وهو يقوم بالمسئولية الروحية بكل أمانة. وقد لاحظت أنه يزداد نحولا وكآبة، ولا شك أن السبب هو في اهتمامه الزائد بحياته الروحية،

رئيس مجلس كنيسة

أسوأ ما في المكرسين أن لهم أهل! ينبغي أن يذهبوا لزيارتهم مرة أو مرتين في العام، وهو أمر يسبب لنا ارتباكا شديدا في الخدمة. أفضل المكرسون هو الذي ليس له أحد،

رئيس جمعية قبطية

نحن مسئولون عن تدبير "مسكن شرعي" للمكرس "بتاعنا" .. ، وعموما لا يليق بإنسان كرس حياته للروحانيات أن يشكو لأي سبب مادي، **أرخن كبير**

التكريس مرحلة لا مفر منها تمر بها قبل رسامتك راعياً في الكنيسة، **طالب اكليريكي**

التكريس ضروري جدا .. فمن الذي يشرف على المباني ويتسلم الخشب، ويخزن الأسمنت، ويحاسب العمال، ... و ... و أمور كثيرة جدا تحتاج إلى إنسان متفرغ .. وهو يعني المكرس "وراه إيه " ! **أمين صندوق**

التكريس في رأيي كما علمنا الآباء هو الطاعة المطلقة، ولا يصح أن يعترض المكرس على تكليفه بعمل ما بحجة أنه ليس في مجال تخصصه أو خبرته، **أمين خدمة**

لقد لفت نظري أن الشباب يميل إلى مناقشة مشاكله مع الخادم المكرس أكثر من ممارسة سر التوبة، ولما سألتهم، اعتذروا عن عدم ذكر الأسباب،

شاب يذهب إلى الكنيسة بانتظام

لقد طلبنا من الأب الأسقف استبدال المكرس الموجود عندنا، فثلاث مرات خلال الشتاء الماضي، اعتذر عن عدم إلقاء الكلمة في اجتماع السيدات لمرضه بالأنفلونزا، ثم بنزلة شعبية، ثم بالتهاب رئوي، **راعي كنيسة**

ينبغي أن يعلم الشباب أن "ورانا " أشياء كثيرة غير المكرس "بتاعهم" .. فنحن ندفع مرتبات أربعة فراشين وبواب وقرابني وثلاثة خفراء، **رئيس لجنة مالية**

نحن ناس نشقى طوال النهار، ونأخذ ملاليم، أما هؤلاء المكرسون فيأخذون المئات دون تعب، **قرابني**

ألتمس نقلي إلى وظيفة قرابني، **مكرس**

التكريس عمل سامي جداً، وخدمة عظيمة جداً، لكنني لا أفكر مطلقا في التكريس،

خادم شباب

إقرار: أقر بأن كل ما ورد في هذا التقرير من تصريحات وصفات عار تماما من الصحة، ولا أساس له من الواقع، وكل ما يمكن أن يوحي به هذا المقال غير حقيقي جملة وتفصيلا، وهذا إقرار مني بذلك، الكاتب

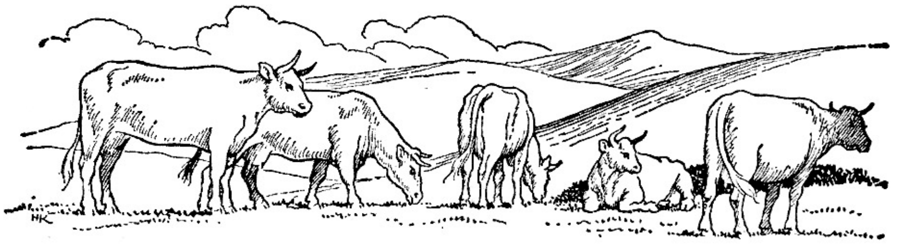

١٨ـ قيمة الحياة

١ـ الإنسان مخلوق على صورة الله

يذكر الكتاب المقدس بوضوح شديد أن الله قد خلق الإنسان على صورته ومثاله، ويرى القاريء أن للإنسان مكاناً خاصاً ومكانة متميزة في خليقة الله القدوس. فالخليقة المادية صنعت من أجل الإنسان (تك ٢: ٤)، أما الإنسان فوجوده وحياته لها قيمة خاصة ... **فهو يُخلق بعد أن يُعد له الكون، ويعطي السيادة على العالم، ويكلف بالعمل والسيطرة على الطبيعة، وبعد فالمستقبل مفتوح أمامه ليزداد عدداً وسيطرة،** وهو يختص بعلاقة حميمة مع الله، الذي يحضر إليه المخلوقات ليدعوها بأسمائها (تك ٢: ١٩)، بل وينزل ليتمشى في جنته ويعطيه وصية تحدد علاقته مع الخالق (تك ٢: ١٦و١٧ + ٣: ٨). **الإنسان مخلوق على صورة الله، ولكنه ليس صورة الله. صورة الله هو المسيح، الكلمة المتجسد، الله لم يره أحدٌ قط، الابن الوحيد هو الذي أعلن الله للناس (يو١ : ٨)، الابن الذي هو بهاء مجد الله ورسم جوهره (عب ١ : ٣)،** ومع هذا فالإنسان يُدعى صورة الله لأنه خلق هكذا "على صورة الله ومثاله"، ولكن ما معنى هذا؟ هل الصورة الإلهية في الإنسان في كونه سيداً على الطبيعة المادية؟ **الحق أن سيادة الإنسان على الطبيعة ناتجة عن كونه مخلوقاً على صورة الله و ليست سبباً لها.**

٢ـ مكانة الإنسان في الخليقة

إن المزايا التي أُعطيت للإنسان تجعله بحق مؤهلاً للسيادة، إذ أُعطي:

العقل: بملكاته الثلاث .. الفكر والإرادة والوجدان

الاختيار: الذي يتيحه له العقل و الخيال الحر الطليق

المسئولية الأدبية الأخلاقية: في التمييز بين الخير والشر

إن النفخة العلوية التي حولت التراب إلى نفس حية، إن الطبيعة التي اختُص بها الإنسان وكونه ذاتٌ حُرة بما لها من جوانب روحية ومادية، تعلن صورة من قداسة وبركة القدرة الإلهية التي أخرجتها من العدم واستدعتها إلى الوجود الفعال. **الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه إقامة علاقات مع الآخر يتجاوز فيها حدود ذاته، علاقة لا تتوقف عند النفع الأناني المباشر من الغير، ورُب إنسان يكرس حياته لحماية البيئة. الإنسان هوالكائن الوحيد القادر على أن يحيا في شركة مع الآخر.** لذا أصبح الإنسان سيداً للعالم ومحوراً للخليقة،

وكاهناً لها كما أراد له الله القدوس، ففي سيادة الإنسان على الطبيعة انعكاس لربوبية الله، وإذ فوّض في الأرض أصبح مدعواً لشركة الطبيعة الإلهية (٢بط١ : ٤) **الإنسان مخلوق على صورة الله ولكنه ليس صورة الله:** فالإنسان يفهم حقيقة كيانه مما يتعلمه من الله (الأصل) وليس مما يتعلمه عن نفسه (شبه الصورة). **والمسيح صورة الله الحقيقية هو الذي يتوجه إليه الإنسان ليعرف علة وجوده ويفهم إنسانيته ويتجاوز سقطاته ويجدد طبيعته.**

الإنسان هو محور الكون وسيده ويبقى هكذا طالما احتفظ: بالعقل والاختيار الحر والمسئولية الأخلاقية ، ومتى أهتز فيه أحد أو كل هذه الجوانب اهتزت سيادته للكون وانحرفت، وأصبح عبداً لأهوائه، وتردى بهذا الكون في الشر والدمار كما يحدث كثيراً. **الإنسان هو المحور في منظومة كونية متكاملة، والطبيعة المادية بالنسبة للإنسان في موضع السيطرة والإخضاع وليست في مكان السيادة، فمن يجعل المادة هدفاً له وليست مجرد وسيلة لاستعلان عمل الله انحدر بنفسه من مكانة السيد إلى مكان التابع للمادة،** واستسلم لمطالبها التي لا تشبع لتضيع الحياة في غير مقصدها. **لقد خلقت المادة من أجل الإنسان كإعلان عن محبة الله له، فإن انعزل الإنسان عن محبة الله، فقدت المادة دافع وجودها وأصبحت مجرد نفاية.**

٣- علاقة الإنسان مع الله

ينبغي أن يكون واضحاً أن العلاقة بين الإنسان والله علاقة تبعية، وليست علاقة ندّية، وليس في هذا تناقض مع حرية الإنسان، فبدون روح الحياة الذي أخذه من الله يعود الإنسان إلى العدم، مجرد كومة من تراب، ويفتقد الوجود الفعال البناء الذي هو قصد خلقته وعلة ما تميز به على باقي الخليقة. **إن تحدي الإنسان لله وتمرده عليه يقوده إلى الموت** حتى وأن تنفس وتحرك وأنجب. **فالوجود غير الفعال غير البناء، غير الممتد إلى الأغيار إنما هو موت فعلي** " بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً - يو ١٥: ٥ ". **لذا فاتضاع الإنسان ليس مجرد فضيلة، بل هو ضرورة حياة،** لذا أكد القديسون أن الكبرياء نبع كل الرذائل، وأن الاتضاع نبع لكل الفضائل، وهذا هو المعنى الكامن في كلام ربنا الذي يستحق أن ندرسه مراراً **"من يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها. لو٩ : ٢٤".**

٤ـ المفهوم المسيحي للحياة

الحياة هي الحقيقة الأساسية المشتركة بين الله والإنسان، وقصة الخليقة تبدأ بالتسليم بالوجود الحي الفعال لله وإعتبار ذلك الوجود أمراً بديهياً حتى أن الله لا يوصف بالإله الحي إلا متأخراً في تث ٥: ٢٦. إذن الحياة هي من طبيعة الله ومنحت للإنسان ليحيا، **لقد خُلق الإنسان ليحيا روحاً وجسداً** "أنا حي وأنتم ستحيون -يو١٤: ١٩"، وقد تباينت ثقافة الحضارات القديمة، فبينما افترض البابليون أن الإنسان قد خلق لكي يموت بعد فترة، نرى الحضارة المصرية تؤمن أن الخلود هو مصير الإنسان. ومحور الرجاء المسيحي هو الخلود أو كما نسميه الحياة الأبدية للإنسان روحاً وجسداً. لقد كشف السقوط حقيقة الفناء الكامن في طبيعة الإنسان، **فكما استدعي الإنسان من العدم إلى الوجود بموقف من الحب الألهي، لا ينال الخلود إلا بهبة إلهية، وفيما بين الولادة والأبدية لا يستمر في الحياة إلا بمعونة إلهية. فمنظورنا إلى الحياة ينتظمه العمل الألهي من البداية وحتى الأبدية. ليس معنى هذا أن الإنسان مربوط بقيود إلى الله ولكن هذه هي طبيعة الأمر! ببساطة لأن الإنسان لم يخلق نفسه وليس له حياة في ذاته مثل الله، فمصدر الحياة الوحيد هو الله ومن أنعزل عنه مات.** ويحضرنا هنا مثال لائق: لقد خرج الشعب من أرض العبودية بمعجزة إلهية، ودخل إلى أرض الموعد بمعجزة إلهية، وفيما بين الخروج والدخول كان الرب يقوتهم بمدد يومي من **السماء ليعلموا أن الحياة في رضاه والبقاء في شركته، وأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الرب (تث ٨: ٣ + لو ٤: ٤).**

٥ـ مكان الإيمان وعمل الروح القدس

الحياة إذن تتجاوز مجرد حدود الإنسان، فهو يدين بحياته للرب، وفي النهاية سيعطي عنها حساباً أمام الرب، وعندما دخل الموت إلى العالم بحسد إبليس (الحكمة ٢: ٢٤)، تدخلت المحبة الإلهية وتجسد إبن الله لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. **ومكان الإيمان في المنظور الأرثوذكسي هو البداية التي تليها المعمودية كولادة ثانية وبداية للحياة الجديدة ثم عمل الروح القدس داخل النفس والجسد من خلال المداومة على الأسرار ووسائط النعمة والجهاد الروحي الشخصي ومحبة الآخرين، ويستمر هذا حتى الانتقال إلى**

الحياة الأبدية، بينما في الكنيسة البروتستانتية يعتبر الإيمان هو نهاية الرحلة إذ يعتقدون أنه بالإيمان والمعمودية يكتمل الخلاص.

فالتحول من الموت إلى الحياة يتم بالاستجابة لدعوة رب المجد "تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت إبن الله والسامعون يحيون - يو ٥: ٢٥ + قارن مع يو٥: ٢٨" **والحياة الجديدة قائمة أساساً على عمل الروح القدس في المعمودية أولا ثم بحلول مواهبه في الإنسان - روحاً ونفساً وجسداً - من خلال سر الميرون واستمرار التهابه واضطرامه في النفس بالأفخارستيا ووسائط النعمة.**

هذه الاستجابة لعمل الروح القدس هي ما يسميه سفر الرؤيا "القيامة الأولى" ومن يكون له نصيب فيها ينجو من "الموت الثاني" الموت الأبدي (رؤيا ٢٠: ٦) حين يأتي ابن الإنسان ليدين الأحياء والأموات. فالروح القدس هو الذي يجددنا (يو٣ : ٥)، والروح القدس هو أساس حياة أجسادنا المائتة (فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم - رو ٨: ١١)، والروح القدس هو الذي يعدنا لميراث الأبدية (١كو ١٥: ٥١-٥٤).

٦ـ الحياة تولد من الموت

ولكن الفكر المسيحي يؤكد أن الحياة لا تولد إلا من الموت! فبموت المسيح بطل الموت واستحققنا الحياة الأبدية (٢ تي ١: ١٠)، ونحن نولد منه بعد أن ندفن في المعمودية (كو ٢: ١٢)، وعلى المستوى الفردي إن لم تمت حبة الحنطة تبقى وحدها، وإن لم يبذل الإنسان ذاته يهلكها، وإن لم يضح بأهوائه وأنانيته لا ينال الحياة الحقيقية، "الحق الحق أقول لكم أن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمُت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير، من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها في حياة أبدية - يو ١٢: ٢٤و٢٥". فالحياة المسيحية هي الحياة الباذلة، **والوجود الحقيقي هو الوجود الفعال، ليس فعالاً بالأخذ بل فعالٌ بالعطاء، أي سمو هذا حين ينسى الإنسان نفسه فيذكره الله في كتاب الحياة** (لو ١٠: ٢٠)، ويلقي بنفسه في الهلاك من أجل أحبائه فإذا بالمحنة تتمخض عن إنسان قد انتصر على الموت (٢كو ٤: ٨-١٠)، من يملك هذا الإيمان القوي ومن لديه هذا الحب العظيم حتى يضع نفسه من أجل الناس كما فعل رب المجد تاركاً لنا مثالاً لنتبع خطواته،

من هنا نعلم المركز المحوري لقيامة المسيح في مفهومنا عن الحياة، إن المسيح بموته على الصليب انتصر على الموت مرةً وإلى الأبد، وكم كان الوحي صادقاً حين قال على لسان بولس: إن لم يقم المسيح فإيماننا باطل (١كو ١٥: ١٤-١٩)، بل ولا يصبح للحياة مغزى أو هدف ويحيا الإنسان كالسائمة يأكل ويشرب لأنه غدا يموت. إذن مدخل الحياة هو إهلاكها ! **والوجود الحقيقي يتحقق ببذل الوجود الشكلي، والمقصود أن الحياة الحقيقية، الحياة الأبدية مع الله، تبدأ بنسيان الأنانية وبالتعب من أجل الأخر، أن نخدم الناس ونضحي من أجلهم، وحتى داخل الفرد نفسه فكل جانب من جوانب الإنسان، بيولوجية أو نفسية أو روحية عليه أن يضع احتياج باقي الجوانب في اعتباره. نعم .. فحتى الناحية الروحية لا تكون سليمة إن لم يراعَ فيها الجانب المادي، وكم حذرنا الآباء من النسك الخاطئ أو التباري في الصوم والسهر فوق طاقة الإنسان. فالحياة الروحية تقديس للكيان الإنساني كله، عقلاً وجسداً وعاطفةً، وارتقاءً بالمادة الي مستوى الشركة مع الله. ولكن لبذل الذات أهمية أخرى ..**

٧ـ الإنسانية مشروع لم يكتمل بعد !

فمنذ اللحظة الأولى والإنسان مدعو للعمل المستمر، فالسعي الدوؤب نحو التغيير إلى الأفضل هو علامة الإنسان الواعي بكيانه، المدرك لأبعاد الصورة الإلهية فيه، **هذه الصورة التي تحققت مرة في المسيح** والذي بدوره طالبنا بأن نكون كاملين. ألا ترون القلق المستمر الذي يحيا فيه الإنسان، إن هذا القلق يستطيع أن يكون حافزاً للأفضل، **إن الساعين للكمال لا يتوقفون كل حين ليرددوا إنجازاتهم إلا بقدر ما تكشف لهم هذه الإنجازات عن الخطوات التالية. فكم وكم بهؤلاء الذين يستسلمون للحياة، ويرفضون المخاطرة بما لديهم للسعي وراء ما ينبغي أن يكون، غير مدركين أن المخاطرة هي التي تنقذ ما لديهم من نعمة حقيقية، ألا وهي صميم كيانهم المتحرك دائماً والمتجدد دائماً.**

هل تسعى إلى حياة القداسة؟ إذن خبرني متى تستطيع أن تقول "الحمد لله لقد صرت قديساً". هل تسعى الي خدمة الناس؟ إذن خبرني متى تستطيع أن تقول "الحمد لله لقد اكتملت خدمتي". هل تعمل طبيباً أو مهندساً أو معلماً أو صانعاً أو تاجراً؟ **إذن كن صادقاً مع نفسك وقل متى تستطيع أن تقول لقد بلغت الكمال في مجال عملي.** إن المستسلمين للحياة

تحركهم بدلا من أن يحركوها، يصبحون مثل كتل الخشب تتقاذفها المياه مصيرها الحتمي هو التبدد. **طوبى للمتمردين على الواقع، طوبى للساعين إلى الأفضل، فهؤلاء هم الذين يتذوقون لذة الحياة مع الخطر، مع التجدد، مع عمل الله فيهم وتكشفهم المستمر لجوانب الصورة الإلهية التي فيهم،** " لأن كل من له يعطي فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه- مت ٢٥: ٢٩".

التضحية إذن حتمية، فلا بديل عن خروج الإنسان من قوقعته ومن تمركزه حول ذاته، فهو السبيل الوحيد لكي يكتشف وزناته ويدرك قصد الله من خلقته ويصبح لحياته معنى، **والمخاطرة لا مفر منها،** فالإنسان لا يعلم كيف سيكون موقف الناس منه، فقد يقدم الحب فلا يجد إلا الجحود، وقد يقدم الوفاء فيجد الغدر، ولكن المخاطرة معقولة محسوبة، **وما يرجح المغامرة ويجعلها حتمية أن بقاء الإنسان في سجن ذاته خسارة مؤكدة،** فالإنسان السوي يقبل بخطر محتمل قد يؤلمه لينجو من خطرٍ مؤكد سيهلكه، كمن يترك ممتلكاته ليهرب من الحريق. ولكن الله موجود عينه على طرق الأبرار، وإذا كان من البشر من يتلذذ بآلام الآخرين، فمنهم من هو مثلك يبحث عن ذاته في الآخرين. **الإنسان مشروع لم يتحقق كاملاً بعد فهو مدعو للطبيعة الجديدة، خليقة تتجدد وتتحرر شيئاً فشيئاً، حين نتحول فيه إلى الصورة التي وجدت في فكر الله حين خلق الإنسان على شبهه ومثاله "إذ خلعتم الإنسان العتيق .. ولبستم الجديد والذي يتجدد حسب صورة خالقه -كو٣ : ١٠".**

٨ـ فترة الوجود على الأرض

الشائع عند الناس أنه كلما قصرت فترة الوجود على الأرض كلما كان ذلك أفضل، ألم يقل القديس بولس أن الموت هو ربح، ألم يقل رب المجد أنه في العالم سيكون لكم ضيق. **ولكن إذا كانت الحياة بهذه القسوة فلماذا خلقنا الله أصلاً بهذه الطبيعة التي تمزج المادة بالروح؟ لماذا وجدنا على الأرض؟ وما أهمية فترة وجودنا على الأرض؟ هل هي مجرد امتحان نرجو أن يكون سهلاً وقصيراً؟** إذا كانت الحياة مجرد امتحان عسير فلماذا يبارك الله الناس بإطالة حياتهم؟ ألم يعد كل من يكرم أباه وأمه بطول الأيام على الأرض (خر ٢٠: ١٢)، وحين ظهر الرب لسليمان الملك ليهبه الحكمة كان العمر الطويل من ضمن البركات (١ مل ٣: ١١)، ألم يستجب الرب لطلب حزقيا البار ومد في عمره ١٥ سنة (٢ مل ٢٠: ٥و٦)؟

ألا تتكرر في العهد القديم تلك العبارة عن الأبرار، أنه مات بعد أن شبع من الأيام (تك ٢٥: ٨ + تك ٣٥: ٢٩ + أي ٤٢: ١٧)، ألم يعوض الرب أيوب عن تجربته المريرة التي مر بها ومن ضمن التعويض أعطاه عمراً مديداً (أي ٤٢: ١٦)، ألم يعاقب روح الرب حنانيا وسفيرا بالموت المفاجئ (أع ٥: ٥و١٠)؟

ما أهمية فترة وجودنا على الأرض؟ هل هي فترة استعداد للحياة الأبدية؟ بالتأكيد، **هي فترة استعداد للأبدية، وما دامت فترة استعداد ألا نرجو أن تطول لكي يكون استعدادنا أفضل وأفضل.** ولكن لا تنسى أنك جزء من البشرية العامة **أستعد لأبديتي الشخصية حقاً ولكن على أيضا مسئولية أن أمهد الطريق لأخوتي،** انظروا ما يقوله الوحي "الفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين الي البر كالكواكب في أبد الدهور - دا ١٢: ٣"، ولنقرأ كلام القديس بولس عن المواهب المتنوعة التي يعطيها لنا الرب "لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، هي أن ننتهي جميعنا في وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله في إنسان كامل في قياس قامة ملء المسيح - أف ٤: ١٢و١٣". **إذن على الأرض نحن نستثمر وزناتنا ونحقق القصد من خلقتنا، ونتحمل مسئوليتنا تجاه الآخرين والكون الذي وضعنا الله فيه لنعمله ونحفظه. أن هذا لا يتم فقط بالجهاد والكرازة بل أيضاً بالسعي لتصبح الحياة أفضل للكل،** ألم يطلب الرب منا أن نشهد له (أع ١: ٨)، ألا يدعونا القداس إلى أن نبشر بموت المسيح ونعترف بقيامته (في ٣: ١٠)؟

فطوبى لطبيب يعالج الناس بأمانة ولمدرس يعلمهم بتجرد؛ طوبى لصانع يجتهد في ورشته ولعالم يبتكر في معمله، وطوبى لتاجر يتعامل بتقوى ولفلاح يسهر على زراعته .. إذن الكفاح من أجل تحسين الأحوال المادية لنفسي ولمن حولي مشروع تماماً، **ولكن احترسوا من الأنانية** وأن يستولي جانب واحد على الحياة كلها، فإذا كانت الكنيسة تهتم بنا اهتماماً متكاملاً فبالأولى أن أهتم بنفسي اهتماماً متكاملاً وألا أترك جانباً واحداً يستعبدني، **ولتبق المادة في مكان الخادم** وليست في مكان السيد كما أسلفنا القول. ولكن أقول الحق لا أكذب **أن أية محاولة لحفظ التوازن بين جوانب الحياة بعيداً عن المسيح عمل محكوم عليه بالفشل، فإن لم يكن رب المجد هو محور الحياة ستختل الحياة كلها.**

٩- اهتمام الكنيسة بالاحتياجات المادية والأحوال المعيشية لإبنائها

وإذا كانت الحياة المادية لا قيمة لها بالمرة فلماذا لم يخلقنا الله من طبيعة روحية خالصة، ولماذا بالأولى يتمجد الجسد في الأبدية وكلنا يعلم أننا في الحياة الآتية سيكون لنا مثل جسد المسيح بعد القيامة جسد خال من ناموس الخطية، ولكنه جسد ملموس له لحم وعظام (لو ٢٤: ٣٩)، الخليقة المادية إذن قصد إلهي خالد.

إن اهتمام الكنيسة وانشغالها بالاحتياجات المادية والراحة المعيشية لابنائها لا يظهر فقط في اهتمام الرب بإشباع الجموع، أو في تنظيم الرسل لخدمة الموائد، بل تظهر بوضوح شديد في صلوات الكنيسة ...

ففي القداس الإلهي وبعد أن يصلي الكاهن من أجل الزرع والعشب ونبات الحقل، وأهوية السماء (الطقس الملائم) وثمرات الحقل، ومن أجل المياه و الأنهار إذا به يطلب من الله أن يكون للشعب، الكفاف في كل شيء، لكي نزداد في كل صلاح.

وفي أسبوع الآلام حيث يجب أن ننشغل فقط بآلام الرب، نجد في طلبة المساء:

- أيها الباري رازق الكل نج شعبك من طوفان بحر العالم الزائل وارفع عنهم كل مكروه، وكل الحيوانات أيضا وسائر الطيور اعطها قوتها لأنك تعطي للدواب رزقاً ولفراخ الغربان قوتها، نسألك ...

- يامن ضيف عند عبده إبراهيم .. وبارك في زرعه .. تراءف على العالم وخلص شعبك من كل شدة..

- يا من عال شعب إسرائيل أربعين سنة في طور سيناء ولم يكن لهم بيوت ولا مخازن ... احفظ شعبك وغُلهم وبارك في منازلهم ومخازنهم بالبركات السمائية ...

- يا الله تراءف على العالم بعين الرحمة والرأفة وبارك في كيل غلا تهم ومخازنهم وفي القليل الذي عندهم واصعد مياة الأنهار كمقدارها، وهَبْ اعتدالا للأهوية، ونيل مصر باركه في هذا العام وكل عام وفرح وجه الأرض وعلنا نحن البشر ...

- يا صانع العجائب والمعجزات، ومن أشبع الألوف من الخمس خبزات .. بارك لعبيدك في خبزهم وزيتهم وزرعهم ونخلهم ومتاجرهم وصنائعهم ومباشراتهم ..

وفي أوشية القرابين يقول الكاهن :

والذين قدموا لك .. أعطهم الباقيات عوضاً عن الفانيات، السمائيات عوض الأرضيات، الأبديات عوض الزمنيات، بيوتهم ومخازنهم املأها من كل الخيرات.

وفي طلبة اللقان :

- فرح وجه الأرض، جددها دفعة أخرى، أصعد نهر النيل كمقداره ....
- بارك إكليل السنة بصلاحك، وبقاع مصر .. ليكثر حرثها وتتبارك ثمارها
- لتفرح حدود كورة مصر ولتتهلل الآكام بفرح من قبل صلاحك ...

وفي تذكار النيروز : في ختام الصلاة وفي مرد الأبركسيس:

بارك إكليل السنة بصلاحك يارب، الأنهار والينابيع والزرع والثمار.

وفوق هذا فالكنيسة تصلي مرارا وتكرارا من أجل الأحوال المحيطة بإبنائها من حيث التعامل مع السلطة ومع قوى الطبيعة، فنصلي من أجل الحكام ومن أجل القائمين على شئون البلاد (أوشية البلاط في القداس الكيرلسي)، ونصلي من أجل أن يبعد الله عنا الوباء والجلاء (السبي) والفناء وسيف الأعداء.

والكنيسة تهتم بصحة إبنائها :

في كل يوم يقف الكاهن يرفع البخور ويصلي أوشية المرضى، طالباً الشفاء للجميع من أمراض النفس والجسد معطياً اهتماماً كبيراً لأمراض النفس. ألم تجعل الكنيسة المرشدة بالروح القدس سراً خاصاً من أجل شفاء المرضى، ألا يذهب الكاهن إلى المريض في بيته ليصلي صلوات سبع طويلة يختمها بأن يرشم المريض بالزيت وهو سر أسسه السيد المسيح مع تلاميذه (مر ٦: ١٣)، بل أننا نجد في كتب الكنيسة صلاة خاصة من أجل من يتعرضون لخطر الإصابة بمرض السعار.

لماذا كل هذا الاهتمام بالنواحي المادية؟ لسبب بسيط، **لأن الإنسان كلٌ متكامل، فمن يستطيع أن يحيا حياة سوية وهو في ضيق مادي أو نفسي- أو اجتماعي** (اقرأ مرة أخرى أوشية المرضى).

١٠- هل الهرب من الموت جبن أم حكمة ؟

فضلا عن تحريم الانتحار تماماً، فإننا نرى في الحديث الختامي الرب يسوع المسيح يحذر تلاميذه من الخراب المزمع أن يحل بأورشليم، و يؤكد عليهم أن يهربوا عندما يروا رجسة

الخراب في المكان المقدس (مت ٢٤: ١٥و١٦)، ويطلب عن تلاميذه ألا يُؤخذوا من العالم بل أن يُحفظوا من الشرير (يو ١٧: ١٥). ونقرأ عن الذين هربوا من جراء الضيق الذي تلا شهادة أسطفانوس (أع ٨: ١ + ١١: ١٩)، وحين تشاور اليهود ليقتلوا بولس الرسول قام التلاميذ بتهريبه خوفا على حياته (أع ٩: ٢٣-٣٠)، وحين وضع بطرس الرسول في السجن كانت الكنيسة تصلي بحرارة من أجله (أع ١٢: ٥)، ولم يقل أحد هنيئاً عليه لأنه سيموت من أجل الرب! وحين سقط أفتيخوس ميتاً أسرعوا يصلون من أجله ولم يقولوا طوباه لأنه قد نال الملكوت، وفرحوا فرحا كبيرا عندما رُد إلى الحياة (أع ٢٠: ٩-١٢).

الحرص على الحياة شيء هام، ولننظر القوانين التي صدرت بشأن الجاحدين الذين أنكروا الإيمان في فترة الاضطهاد : (عن " تاريخ الكنيسة " للقمص منسى يوحنا)

١- الذين زلوا بسبب ما قاسوه من العذاب .. صوم ٤٠ يوم ويقبلون في العيد الآتي.

٢- الذين عثروا لسبب السجن دون عذاب شديد ... توبة لمدة سنة ثم يقبلون.

٣- الذين ارتدوا لمجرد الخوف دون أن يذوقوا عذابا ... قانون توبة لمدة ٤ سنوات.

٤- الذين ارتدوا ولم يطلبوا التوبة .. الكنيسة تبكيهم وترثي لأجلهم.

٥- الذين نجوا من العذاب لتظاهرهم بالبله أو أية حيلة ... توبة لمدة ٦ شهور.

٦- الذين ارتدوا ثم عادوا .. وتحملوا السجن أو العذاب يقبلوا دون فحص.

٧- **كل الذين قدموا أنفسهم للأخطار طواعية واختيارا دون أن ينتظروا إلقاء القبض عليهم أو يصبروا حتى يروا ما يحل بهم لا تصح محاكمتهم وعقابهم، بل يكتفي بتذكيرهم أن المسيح ورسله لم يعملوا هكذا ولم يلقوا بأنفسهم في الهلاك** أما الذين سقطوا من هذه الفئة .. فإذا كانوا من الإكليروس ... فلا يجب قبولهم في الوظائف الكهنوتية ثانية بل يقبلون كأعضاء في الكنيسة فقط.

٨- جميع الذين افتدوا أنفسهم بدراهم دفعوها فداءً عنهم فلا يلامون قط.

٩- لا شيء على الذين نجوا بواسطة هربهم من الموت ولا قصاص.

.... لا تعليق

١١ـ الجانب الاجتماعي للحياة

والإنسان كائن اجتماعي، يحب ويتزوج ويصادق ويتعاون وينتمي إلى عائلة وإلى شعب وأمة، فهؤلاء الناس هم النظير (تك ٢: ١٩) الذي يستطيع أن يعينه، فمن يتمركز في أنانيته يكسر معادلة خلقته، ويعاني من وحدة مميتة مهما أغوته القوة والسيطرة المنفردة، ومهما أخافته أعباء الانتماء ومسئولياته، وعلاقات الصداقة والحب والزواج والوطنية والإنسانية بصفة عامة خلقت مع الإنسان وفي صميم كيانه، **فإذا تجاهلها الإنسان أختل توازنه وفشل في إدراك السعادة التي تمناها جميعا دون رغبة في دفع ثمنها، هذا الثمن هو المسئولية الإنسانية.**

إن موقف البذل المطلوب يستدعي بالضرورة التزاماً اجتماعياً للمسيحي، بمعنى مسئوليته أن يكون نوراً وملحاً للأرض. إن الوزنات التي أعطيت لي لا يجوز لي أن أدفنها بل أن استثمرها في خدمة الناس وتنمية المجتمع الذي أعيش فيه، تلك المسئولية التي سوف أعطي عنها حساباً لواهب الوزنة، ويكفي الإنسان أنه نال بركة الوجود وسينال مكافأة عن عمل لا فضل له فيه، بل فضل البداية والاستمرار والنجاح فيه لله. ويمتد هذا الموقف في الكون على إتساعه، فما يتردد الآن عن حماية البيئة سبقت إليه التسبحة اليومية، حين يصلي الإنسان عن المطر والينابيع والأنهار والحيوان والطيور وكل صور الحياة على الأرض فينغرس في وعيه وضميره أنه جزء من منظومة هائلة أبدعتها يد الخالق العظيم، وهو المسئول وهو الكاهن عن كل الخليقة التي صنعت من أجله أصلاً. ولاشك أن ما يجعل هذه المسئولية عملاً جذاباً هو الترتيب البديع الذي وضعه الله في الكون.

١٢ـ مكان الفكر في الحياة

إن الحياة الإنسانية تتجاوز مظاهر النشاط الحيوي مثل التنفس والتكاثر، قولوا هذا لمن تخدمونهم، **لو اقتصرت اهتماماتي على النواحي المادية فلن أختلف شيئاً عن البهائم، ولو قصرت اهتماماتي على ما سيحدث بعد الموت دفنت وزنتي وتخاذلت عن مسئوليتي. إن علامة الحياة الإنسانية الفارقة هي الفكر،** والغريب أن بيننا من يعتبرون الفكر شيئاً ضاراً، بل إن في بلادنا من يعتبر التفكير سبباً للهم (صحيح أن الحكيم يقول أن من يزداد علماً يزداد غماً، ولكن هل ينطبق هذا على أي علم، هل من يزداد علمه بعقائد الكنيسة وطقوسها يزداد غماً، هل من يزداد علمه بالإنجيل يزداد غماً، هل من يزداد علمه في الطب أو الهندسة أو التاريخ يزداد غماً؟ بالقطع لا، ربما كان ما يقصده أن من يزداد علماً تزداد مسئوليته).

احترسوا من هذا الموقف الساذج، أن لا تشجعوا إبناءكم على التفكير في كل شيء، **والمقصود بالفكر هو أن يكون للإنسان مبادئ واضحة واتجاهات محددة تشكل سلوكه ومواقفه من الناس وظروف الحياة المختلفة.** والحق أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدون فلسفة في الحياة ولو دون أن يدري أنها فلسفة، **فإن لم يكن في ذهنه الرؤيا المسيحية للحياة ، فبدون أدنى شك سوف يسير في الحياة طبقا لرؤية غير سليمة،** رجعية كانت أو متخلفة أو غير مسيحية، وما أكثر الأمثلة حولنا، حين نرى الذين يؤمنون بالمكتوب كما أسلفنا الذكر.

إن حرية الفكر شيء أساسي في الحياة المسيحية ولكن في إطار فكر الله المعلن في الكتاب المقدس، فمن الممكن جداً أن يخطئ الفكر، ليس فقط بالتفكير في الخطية بل حتى في استخدام الحكمة البشرية، ولنتوقف قليلا عند هذه النقطة الهامة:

" إن كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم .. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية .. وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة - يع ٣: ١٤-١٦"

بالقطع سنواجه ضيقات في الحياة، وعادةً ما نفكر في رد الإهانة أو في الشكوى على الأقل، بينما الرب يطلب أن نصلي لأجل أعدائنا هكذا تتباين حكمتنا مع الحكمة الإلهية، ولكن كيف يتجه فكر الإنسان في الضيقة إلى هذا الاتجاه، الحق أن الإنسان الذي يتغذى يومياً من الإنجيل لن يحتاج إلى مجهود لأن الفكر الإلهي سيكون حاضراً في ذهنه. **نعم يمكن أن يخطئ الفكر ولكن ليس هذا بمبرر لإعدام الفكر وتقييد حرية الدرس أن الضمان ضد الشطحات هو:**

١- أن يتفق فكري مع الإنجيل وتراث الآباء المعتمدين.
٢- أن امتحن فكري بين أخوتي في الكنيسة.
٣- أن تكون لي الممارسات الروحية اليومية بإرشاد أب الاعتراف.

خلاصة الباب الثاني

١. أن المنهج الفكري المسيحي يقوم على أنه لا تناقض بين الروح والجسد، بمعني المتطلبات المادية للإنسان، بل يتكامل الإنسان روحاً وجسداً ويتناغم مع الله ومع الكون متى أدرك عمل الخطية فيه، وقرر أن يقاومه بعمل الروح القدس من خلال وسائط الخلاص وبالجهاد المستمر من خلال وسائط النعمة.

٢. العلاقة بين الله والإنسان تنبني على منهج مثلث الأبعاد: الفكر والعاطفة والإرادة: نفهم إلى أين نسعي؟ ولماذا نريد السعي؟ ونتحمس لهذا الهدف، ونتجاوب مع محبة الله لنا، ثم نسلك بما يترجم هذا الموقف وهذا الانفعال.

٣. العالم هو مسئوليتي كمسيحي، فعليَّ أن أميز بين الشر والأنانية والإباحية المنتشرة وسط الناس، وبين حب الناس والمساهمة في إنجازات الإنسان البناءة، فمن ضمن مسئوليتي أن اكافح وأن اقاوم الظلمة التي في العالم.

٤. الله يعمل في الحياة والإنسان يعمل، أنا أبذل أقصى جهدي، والله يعمل مالا يستطيع الإنسان عمله. الله يعين الإنسان، ولكنه لا يعين الكسالى .. هذا هو الفرق بين الإيمان والتواكل.

٥. أن العقل المستنير بالروح، وبالضمير الإنساني، وحب الناس، هو طاقة سامية في الإنسان، وبالعلم المبني على العقل والساعي إلى خير الناس ينبغي أن نفكر وأن نخطط وأن نعمل مستعينين بقوة الله.

٦. أن افتراض التعارض بين العلم والإيمان هو حجة الكسالى.

٧. الحياة على الأرض هبة ثمينة من الله.

٨. الله يضمن لهذه الهبة الاستمرار والنمو والوفرة بشرط استجابة إرادة الإنسان لعمل الروح القدس وإدراكه القاطع أنه تابع للسماء وليس نداً لها، لذا وضع الآباء الاتضاع كمنبع للفضائل.

٩. ينتقل الإنسان من موت الإنسان العتيق إلى جدة الحياة بعمل الروح القدس تدريجياً.

١٠. الحياة في إطار الأنانية موت، أما الحياة الحقيقية فهي بذل الذات والتعب من أجل الناس جميعاً.

١١. الحياة مع الله على الأرض، حياة نحن مدعوون فيها للتمتع بهذا الكون الجميل وتنميته وصيانته لنا ولمن يأتي بعدنا، حياة يملؤها الفرح والسرور النقي، والإحساس بالمسئولية عن الناس والكون.

١٢. خُلق الإنسان كمزيج من المادة والروح وكلاهما يتقدس بعمل الروح القدس ويتمجد في الأبدية.

١٣. الحرص على العمر وعلى الصحة الجسدية والنفسية حرص على الهبة الإلهية المعطاة للإنسان.

١٤. الحياة على الأرض استعداد للأبدية وفرصة لقيام الإنسان بمسئولياته نحو الغير لهذا يضع الفكر المسيحي المحبة كغاية للإيمان.

١٥. طبيعة الإنسان تحتم عليه الإهتمام بالاحتياجات المادية، والكنيسة تهتم بها وتصلي لأجل توفرها لأنها أمر ضروري لاستقامة السعي على الأرض والجهاد لأجل الحياة الأبدية.

١٦. أن الإنسان لا يحيا بدون رؤية وفلسفة، من المهم أن تكون رؤية سليمة مبنية على الفكر الحر في إطار التعليم الإلهي والحياة الروحية والكنسية.

١٧. أن القيمة الحقيقية لهذا الفكر تظهر عندما يترجم إلى قول وفعل وموقف من الغير، موقف من الله والمجتمع والعالم والكون على إتساعه.

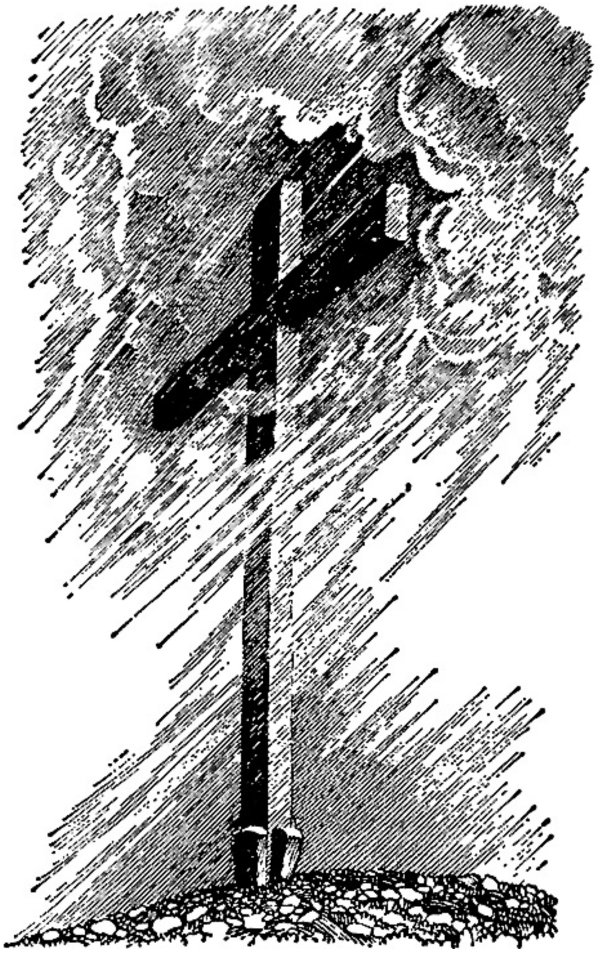

الباب الثالث

كيف نعيش العصر؟

المنهج العلمي
الإدارة الحديثة
العمل الجماعي
فن المعلومات
الإتصال والإعلام
الثقافة العامة
المشكلة الاقتصادية
القضية الطائفية
التراث والمستقبل
البناء الثقافي للشخصية
الأساس اللاهوتي للأنشطة
اسلوب التعليم المؤثر
التعليم والتربية الكنسية
الفلسفة العامة للبرامج

خلصنا إلى أن روح العصر هي العلم، ولقد تبلورت معطيات العصر في أربعة اتجاهات أدرك الشرق والغرب أهميتها ونفعها الحقيقي لحياتهم هي:

البحث العلمي

الإدارة العلمية

فن المعلومات

علم الإتصال

وقبل الدخول في التفاصيل فليكن واضحاً أن هذه الوسائل قد أثبت نفعها للناس، فلا بديل عن توظيفها في خدمتهم، **ولكن الوسائل ذاتها ليست بديلاً عن روح الخدمة الباذلة، والمحبة المخلصة التي تتقدم بسرور لحمل الصليب من أجل العالم.**

أكرر فأقول أن استيعابنا واستخدامنا للعلم ومعطياته، هو وسيلة لتقديم الحب إلى الآخرين والسعي إلى خيرهم ونموهم، **هو وسيلة ستفقد معناها ومحتواها لو لم يتوافر هذا الحب اصلاً، ولو لم يكسر الخادم- بعمل الرب- الأنانية المتمركزة حول ذاته.. فالخدمة المسيحية صليب .. صليب يحمل الفرح والسرور.. ولكنه صليب!! .. صليباً كانت في أيام المسيح، وصليباً بقيت في زمن الشهداء، وصليباً ستظل في عصر الإنترنت والهندسة الوراثية.**

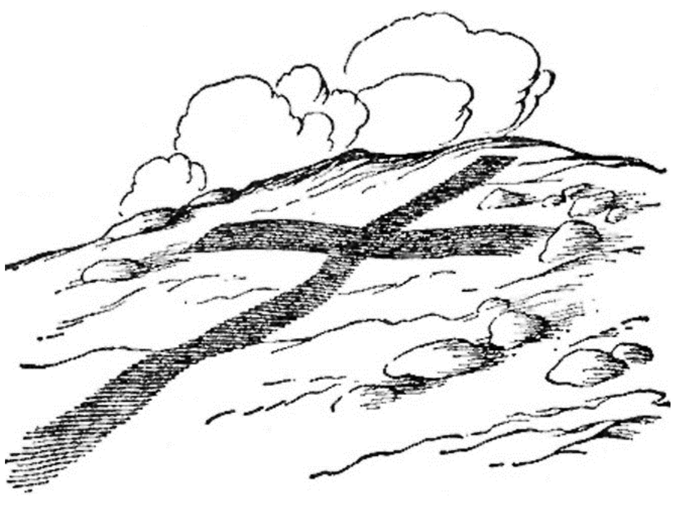

١٩ـ البحث العلمي

ليس مجرد كلام أن نقول **أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من أكثر الكنائس اهتماماً بالكتاب المقدس.** فكل ممارسات وخدمات الكنيسة تتخللها قراءات عديدة من الكتاب المقدس، حتى أننا نكاد نقرأ الكتاب كله على مدار العام. وتحرص الكنيسة على توضيح أهمية الإنجيل حتى أن الأب الكاهن يعطي البخور للإنجيل أثناء القداس.

وبالمثل تؤكد كنيستنا بأنها كنيسة الآباء، فنحن نسير على درب الآباء، ونتعلم من اختباراتهم وجهادهم في الحياة الروحية، وندرس صياغاتهم اللاهوتية لحقائق الإيمان، وننشد تفاسيرهم للكتاب المقدس، فضلا عن اهتمام الكنيسة الشديد بتجسيد هذا في طقوسها حتى أن أغلب قراءات القداسات (عدا أيام الآحاد) تتحدد تبعاً للمناسبة الآبائية (انتقال شهيد أو نياحة القديس)، ناهيك عن التكريم العظيم الذي يظهر في أعياد الشهداء والقديسين، والمدائح التي تصاغ وتردد في تلك المناسبات والمجمع الذي يحتل مكاناً واضحاً في القداس وفي التسبحة اليومية.

ولكن بقدر ما نتحدث عن مكانة الكتاب المقدس في كنيستنا، بقدر ما نهمل البحث في هذا الكتاب، وكم يحزن الدارس حين يتلفت في المكتبة الأرثوذكسية فلا يجد فهرساً أو قاموساً أو دائرة معارف أو أطلساً أو تفسيراً كاملاً للكتاب المقدس. صحيح أنه توجد بعض المحاولات، ولكن أين الجهد الجماعي المنظم وأين تشجيع الناس على البحث، وكم قبطي في مصر على دراية باللغات الأصلية للكتاب؟! ويضطر الباحث اضطراراً إلى التقليب في مجموعات للتفسير، يختلف مستوي جودتها وأمانتها العلمية حسب مدى حياد أو انحياز كاتبيها لمواقفهم الفكرية أو العقائدية.

لقد أنشئ منذ سنوات معهد للكتاب المقدس، يكاد ينطبق عليه قول اشعياء النبي "لولا أن أبقي لنا الرب بقية صغيرة... أش ١: ٩" والمقصود أن يكون معهداً على مستوي الدراسات العليا، أي أنه أساساً معهدٌ للبحث، ننتظر منه إنتاجاً من الدراسات الكتابية، فهو شمعة نرجو لنورها أن يتسع ليزيح أكداساً من الظلام تكاد تطبق على أنفاسنا.

ونفس الكلام يمكن أن يقال عن كتابات الآباء، التي اهتم العالم بها وجمعها وترجمها وبوبها وفهرسها، وفي كل هذا نحن لم نبذل بعد الجهد المطلوب!

أليس من المحزن أننا إذا أردنا أن ندرس شيئاً لآباء كنيسة الأسكندرية مثل كليمنضس أو أثناسيوس أو كيرلس .. وغيرهم، كان علينا أن ندرسه من الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.. ووجه الضعف هنا أن أشهر هذه المجموعات (آباء نيقيه وما بعد نيقيه) عبارة عن مختارات (selected library) أي لا تشمل كل هذا التراث العظيم. لم لا نترجم كتابات آبائنا القديسين؟ لم لا نفتح باب الدرس والبحث واسعاً ميسراً لأولادنا وبناتنا؟ وأين المكتبات الزاخرة بالمراجع والمعاجم؟ وأين المنح الدراسية في الداخل والخارج؟! **وليس البحث مهملاً في مجال فكر الأباء والكتاب المقدس فقط، بل وفي كل المشاكل التي تواجهنا، وكيف نتصور أننا نستطيع حل مشكلة واحدة دون بحث ودراسة؟!**

والمنهج العلمي في البحث لا يقفز قفزاً إلى وضع حل للمشكلة، كما يفعل المتحدثون في التليفزيون! بل يبدأ بجمع المعلومات وتحليلها وربطها ومحاولة الوصول إلى قانون للظاهرة، وفي النهاية قد يصل إلى حل وقد لا يصل. بل المنهج العلمي هو أن ندرس ونبحث، وإن لم نستطع الوصول إلى إجابة فليس ما صنعناه جهداً ضائعاً، بل هو أساس يبني عليه من يأتي بعدنا.

إن المثال الواضح في هذا هو اسلوب دراسة الكتاب المقدس بالطريقة الاستقرائية، وهنا عندما ندرس نصاً كتابياً، لا نقفز إلى التفسير، بل نسأل أولا عن: المكان؟ الزمان؟ الشخصيات؟ الحدث المذكور؟ كيف تم الحدث؟ وأخيرا قد نصل إلى معنى النص .. باختصار : **أين؟ متى؟ من؟ ماذا؟ كيف؟ لماذا؟**

ولكن طالما بقي هذا المناخ الفكري الذي ينظر بشك إلى المنهج العلمي في البحث، فلا فائدة من ترديد الكلام حول العصر- وتحديات العصر- وروح العصر- ... فإن لم نستوعب روح المنهج العلمي لن نتقدم خطوة واحدة في ركب العصر.

الأقرع الذي لا يقرع !

يندر أن يهتم الشاب القبطي بالدراسة أو البحث أو التنقيب في الكتب، وهذا شيء طبيعي. فالشاب المنتظم في حضور الاجتماعات يسمع، خلال سنوات انتظامه، كلاماً يملأ مئات الكتب في المجالات الروحية المتنوعة، ويجمع من المعرفة ما يغنيه عن قراءة أي كتاب !

ولكن هذه المعرفة سرعان ما يتخلى عنها الشاب، أو تتخلى هي عنه، إذ يندر أن تضم فيما تضم حلولاً أو أساليب لمواجهة الأمور المادية البغيضة التي يضطر إلى مواجهتها، بعد أن تنتهي سنوات الدراسة الوردية ليبدأ مشواره العملى الصعب.

واعتقد أنه لا يوجد من يظن أو يشك، ولو أدنى شك، أنه ينبغي على الخدمة السامية أن تهتم بمواضيع حقيرة مادية عالمية دنيوية ترابية، فهذه أمور أتفه بكثير من المسائل السماوية الخلاصية الاسخاطولوجية اللاهوتية الملائكية التي هي صميم الخدمة الروحية !

اذن لم يبق إلا أن يحاول الشاب أن يبحث عن الأجوبة في مكان آخر، ولكن صاحبنا لم يتعود على أن يقرع أبواب المعرفة سواء بالحوار أو بالبحث أو حتى بقراءة الإعلانات ! ولم يتدرب على أن يقرع الذهن حتى يجد الفكرة التي تفتح أمامه باباً للنمو ... فالأبواب لا تنفتح إلا بالقرع.

ورُب قائل أن أولادنا يتدربون على (القرع) البحثي من خلال مسابقات الأبحاث الصيفية وفصول (إعدام) الخدام، وهذا صحيح. وقد راجعت بنفسي- إحدى تلك المسابقات، فاهتز ضميري بشدة، وكاد قلبي أن ينفجر فرحاً!! لأن أبحاث "الأولاد"كانت فوق مستوى الأخطاء، ولكنها لم تكن فوق مستوى الشبهات! فقد كانت كلها منسوخة بالحرف من الكتب، وهذا شيء مقبول باعتبار أننا نسير على درب المؤلفين!

ويظل الشاب واقفاً ينتظر هطول المطر ومع كونه أقرعَ، إلا أنه لا يفكر أبدا في أن يقرع أبواب البحث والدرس والفكر، فلم يعلمه أحد كيف يكون القرع الروحي. ثم تكتمل الرواية فصولاً عندما يصاب البعض باليأس فيعتقدون أن السبيل الوحيد للنمو هو مجاراة تيار القرع غير الروحي، وهنا الطامة الكبرى، فالشاب بهذا يزداد قرعاً على قرعٍ !

هل اقتنعت يا عزيزي القارئ بأهمية القرع؟ .. إن لم تكن قد اقتنعت بعد ، ف(أقرع) المقال من الأول!

٢٠ـ فن المعلومات

يتصور البعض أن القرار السليم يعتمد على خبرة وحكمة من يصدر القرار. وهذا وإن كان صحيحاً إلا أنه غير كاف! .. فإلى جانب الخبرة وحسن تقدير الأمور، لا يمكن لشخص أن يصدر قراراً سليماً دون معلومات كافية.

ولنتصور خادماً يزمع أن يبدأ العمل الروحي في منطقة ما، إنه يحتاج، قبل أن يقرر أي شيء، وبعد أن يصلي كثيراً، إلى دراسة المنطقة محاولاً الوصول إلى إجابات على الأسئلة التالية:

❖ كم عدد المقيمين بالمنطقة؟ وأين يقيمون؟

❖ كم منهم يعملون؟ وماذا يعملون؟ كم منهم يدرسون؟ وماذا يدرسون؟

❖ كم منهم حرفيون؟ وكم مهنيون؟ وكم ربات بيوت؟

❖ كم منهم مسنون؟ وكم أطفال؟

❖ ما هي سمات المنطقة؟ (طاردة - جاذبة - صناعية - طلابية - ...)؟

❖ وما هي أيام إجازاتهم الأسبوعية والسنوية؟

قدر هائل من المعلومات، على الخادم أن يجمعه ثم يقرر: ما هي احتياجات الناس؟

- دار للحضانة أم دار للمسنين؟
- اجتماع عام أم فصول للتربية الكنسية؟
- لقاء لدراسة الكتاب المقدس، أم اجتماع متنوع الموضوعات؟
- نادٍ رياضي للشباب أم نادٍ للعائلات؟
- مكتبة للفيديو أم مشغل لتعليم البنات؟
- وما هي الأولويات؟ بم يبدأ؟ ثم بماذا؟
- وما هو حجم الإمكانات المطلوبة في كل مشروع؟ وما هي خطوات تنفيذه؟

أو بمعني آخر، ترجمة هذه الاحتياجات إلى خطة زمنية طويلة، ولكن مقسمة إلى خطوات صغيرة حسب الإمكانات البشرية والمادية المتوفرة.

هذا هو أسلوب العصر ... لا قرار سليم بدون معلومات كافية، ولا يصح تكرار أشكال معينة من الخدمة لمجرد أنها أثبتت نجاحها في مناطق أخرى، ومهما بدأ شكل الخدمة سليماً، وما المانع أن نبتكر أشكالا جديدة للخدمة[١٨] مادامت تلبي احتياجات الناس؟!

لهذا لا بديل عن "الكمبيوتر" فهو الوسيلة التي تمكننا من التعامل مع هذه الكميات الهائلة من المعلومات في سلاسة بالغة.

وماذا عن الخدمات القائمة بالفعل؟ ولنأخذ مثالاً لنشاط شائع مثل الرحلات:

- كم رحلة قمنا بها؟ وإلى أية أماكن؟
- كم عدد المشتركين في كل رحلة؟ ومن هم؟
- كم قيمة الاشتراك في كل رحلة؟ وفيم أنفق؟
- ما هي الشركات السياحية التي تعاملنا معها؟
- ما هي البرامج التي قدمناها في كل رحلة؟ ومن الذي نفذها؟..

إن جمع هذه المعلومات سوف يمكننا من الحصول على أجوبة لأسئلة هامة:

- ما هي نوعية الرحلات التي تجذب الشباب؟ والتي تجذب الكبار؟
- هل رحلاتنا قاصرة على مجموعات معينة؟ أم تشمل جدداً في كل مرة؟
- مَن مِن الخدام له خبرة بالرحلات؟
- ما هي المسابقات التي تجاوب معها الناس؟
- ما هي الخبرات الجديدة في كل رحلة؟

[١٨] في المناطق الشعبية يحتاج أولادنا وبناتنا الى مكان للمذاكرة، لم لا ترتب الكنيسة مكاناً مريحاً جيد الإضاءة مع وجود خدام لحفظ النظام، وكم من نادٍ عائلي داخل الكنيسة كفيل بحفظ الناس من شرور المقاهي.

وهكذا نستطيع أن نأخذ القرار السليم، ونعد للناس رحلة أفضل بكثير من سابقاتها ولو ابتعد المسئول عن الرحلات لأي سبب؟ هل يبدأ من تولي المسئولية بعده من الصفر؟ إن توفر هذه المعلومات سينقل إليه في وقت قصير خبرات من سبقوه.

بالطبع هذا يتطلب أن نعود أنفسنا على تدوين كل معلومة خاصة بالنشاط، وقد يستثقل الناس هذا في البداية، ولكن متى أدركوا نفعه، ومع اليسر في التعامل مع المعلومات بواسطة الكمبيوتر سيصبح الأمر اكثر سهولة. أما ترك الأمور للذاكرة والظروف فلن يؤدي إلا إلى انخفاض مستوى النشاط وفاعلية الخدمة .. والغريب أن بعضنا ينظر إلى هذه الأفكار بضيق شديد. محتجاً بأن الخدمة، طول عمرها تسير بترتيب ربنا، وأننا بهذا الشكل نحولها إلى عمليات روتينية! مرة أخري هو الكسل العقلي، والقصور عن استيعاب منجزات الإنسان، هذا المخلوق على صورة الله.

إن حرية المعلومات وتيسير الوصول إلى المعرفة من السمات الأساسية في عصرنا هذا، والمؤلم أن هذا المفهوم لم يمتد إلى بلادنا بعد، فبينما تتنافس الهيئات في اتاحة المعرفة للكل على مواقع مفتوحة على الإنترنت، معتبرة أن المعرفة مثل البذور التي تلقى فتثمر أضعافاً مضاعفة، نجد لدينا من يضع الحواجز والسدود أمام الوصول إلى أية معلومة مهما كانت بسيطة.

ولقد مررت بتجربة شخصية في هذا المجال، فعلى امتداد ما يقرب من عامين قمت بالبحث في تاريخ دير وكنيسة مار مينا الأثرية بفم الخليج، وهي كنيستي منذ ارتبطت بالخدمة. ووجدت كل مساعدة من مكتبة الآباء الدومنيكان ومكتبة المركز الفرنسيسكاني، والمعهد الفرنسي للآثار، والمركز الألماني للآثار، بل ومن الموظفين الحكوميين في هيئة الآثار وفي هيئة الوثائق القومية بدار الكتب المصرية ... **ولكن هناك مصادر أخرى تمنيت الوصول إليها، لكن لم يتيسر لى ذلك لسبب أو لآخر.**

إن ساعات قليلة على شبكة الإنترنت تفتح للباحث أعظم مكتبات العالم مثل مكتبة الكونجرس ومكتبة المتحف البريطاني وغيرها، فقد آمن العالم كله بحرية المعلومات.

والحق أن مكتباتنا القبطية تحتاج إلى وقفة، حتى تصبح منجماً للباحثين والدارسين لكي يتسنى استثمارها بطريقة أسهل وأفضل، وحتى لا تتحول إلى مجرد مخازن للكتب.

٢١ـ الاتصال والإعلام

لا توجد مسألة أثارت وتثير أشد الاهتمام لدى كل الخدام على كل المستويات، مثل مسألة تأثير التليفزيون على الناس، فالخدام يشعرون بحق، أن هذا الساحر العجيب الذي دخل بيوتنا يملك من القوة ما لم يسبق لهم أن تعاملوا معها.

وقد أدركت كل الحكومات ذلك، وفي مصر قبلت الحكومة، عن إقتناع، بإلغاء كل أشكال الرقابة الحكومية على الصحف، بينما تمسكت، عن اقتناع أيضا، بإبقاء الرقابة على التليفزيون. وليس هذا تزمتاً من الحكومة، **فذلك الساحر الرهيب أخطر من أن يترك لأية يد عابثة أو غير مسئولة للتأثير على عقول الناس.**

وفي كل بلاد العالم تخضع المواد الإعلامية للمتابعة. ويقوم بهذا المجتمع المدني والذي يملك أن يفرض الالتزام بقيم المجتمع. وحتى في الولايات المتحدة، وهي البلد الوحيد الذي تُرك فيه هذا المجال تماماً للقطاع الخاص، توجد محظورات لا يسمح القانون بتجاوزها، ويملك الناس إجبار أية قناة إذاعية أو تليفزيونية على التوقف، بالامتناع عن التعامل معها مما يفقدها مصدر دخلها من الإعلانات.

لقد دخل التليفزيون حياتنا، وأصبح العامل الأول في تشكيل عقول أولادنا وبناتنا، وبلغ الأمر أن بعض الخدمات تتأثر خلال بعض فترات السنة حين تبلغ البرامج أقصى حدود التشويق، واذكر يوماً انخفض فيه عدد الأطفال في فصول التربية الكنسية إلى أقل من الربع !! ففي نفس موعد الخدمة، كان التليفزيون يعرض مسرحية شهيرة لأول مرة!

إن الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة قد أثبتت أنها جزء من روح العصر، بل أنها الأشد تأثيراً وخطورة، لأنها تقوم بصياغة أفكار الناس. ولا تتعجل ياعزيزي بإصدار أحكام على الشباب، فكم منا - نحن الكبار - تشوق إلى اقتناء سلعة لا يدري جودتها، بل قد لا يحتاج إليها، ولكنها إعلانات التليفزيو !! **وقد تعاظمت أهمية هذه القضية بعد السيل المنهمر من القنوات الفضائية كلٌ تقدم أفكارها على أنها الطريق الأقرب إلى السعادة.**

وبعد أن انفردت الولايات المتحدة بالقوة في العالم، أطلق الأمريكيون قنابلهم الإعلامية تبشر بثقافة الكوكاكولا والهامبورجر والديسكو، وتجعل للحياة هدفاً واحداً هو إشباع الرغبات إلى السلطة والمتعة والتفوق على الآخرين.

أننا نحتاج إلى أن نتابع وسائل الإعلام وكل ما يقدم فيها، وأن نفهم لماذا يتأثر الناس به؟ وأي المواد تؤثر فيهم أكثر؟ وما هي الأساليب التي ينجذبون إليها؟

لقد ازدادت خطورة هذه المسألة لعدة أسباب:

١- إتساع مجال الأرسال التليفزيوني عن طريق الفضائيات بشكل غير مسبوق مما يفتح المجال للتعامل مع كل الثقافات وكل الاتجاهات منها الصالح ومنها الطالح. واعتقد أنه لابد أن سيأتي اليوم الذي نرى فيه قناة تعبر عن كنيستنا.[١٩]

٢- دخول الإنترنت إلى حياة شبابنا مما يعرضهم لسيل منهمر من المعلومات والمحادثات قد لا يستطيع الشاب فرزها أوالتفاعل معها بصورة سليمة .

٣- نشوء سوق لما يمكن أن نسميه الإعلام الموازي حيث تمتلئ الأرصفة بعديد من الكتب وشرائط الكاسيت التي تبث افكاراً يعلم الله مدى خطورتها.

إن علينا أن نقدم للناس ما يبنيهم، وبالأسلوب الذي أحبوه. إن برنامجاً يعرض بحرية وجهات النظر المتنوعة، يبذر في الشاب العقلية النقدية التي تمحص ما تتلقاه بينما نرى أحياناً المذيع يتولى مهمة طرح الأسئلة وتقديم الأجوبة في آن واحد!

إن فيلماً تلفزيونياً جيداً عن قضية إنسانية أو موضوع كنسي- أو مسألة حياتية قد يؤثر في الناس أكثر من عشرات العظات، وفي عدد من القنوات الفضائية تُقدم برامج عن الطبيعة وعالم النبات والحيوان ونشأة الكون، وعن سجلات التاريخ ونمو الحضارات وأحدث الاكتشافات العلمية ومتابعة الظواهر الإنسانية، مما يبني الإنسان بشكل بديع، ولكنه يبث حزناً فائقاً حين ينتقل المشاهد إلى قنواتنا المحلية التي لا تقدم إلا القليل مما يستحق المشاهدة، فضلا عن بعض البرامج التي قد تصيب المشاهد بالاكتئاب والتخلف العقلى ولين العظام !

وحسن النوايا هنا لا يكفي، بل ينبغي أن من يتصدى لهذا العمل أن يكون مستوعباً له ، وبتحديد اكثر ينبغي أن يقوم بهذا العمل خدام مسيحيون دارسون للسيناريو والتصوير والإخراج والمونتاج وغيرها من عناصر الفن التليفزيوني.

---

[١٩] كتب هذا الكلام في صيف ٢٠٠٣ قبل ظهور القنوات القبطية التي تبث إرسالها من مصر وتحظى برعاية الكنيسة (المحرر)

إن مجلة دينية لا تراعي أصول الفن الصحفي في التبويب والإخراج، لن تدفع الشاب إلى قراءتها مهما احتوت من موضوعات. وفي كلمات قليلة: **نحتاج إلى أن نعمد وسائل العصر.** فهل نخطو نحو هذا أم نكتفي بالشكوى المريرة واستصدار الفتاوى حول: هل التليفزيون حرام أم حلال ؟!

بوق جدعون

في منتصف الستينات قبض على رجل يدعى كلارنس جديون متهما بسرقة لم يرتكبها، وإذ قدم للمحاكمة أما إحدى محاكم ولاية فلوريدا، طلب جديون من القاضي أن ينتدب له محاميا على نفقة الحكومة لأنه لا يملك مالاً كافيا لتوكيل محام. لكن القاضي رفض ذلك وأخبره أن القاعدة السائدة لا تلزم الحكومة بذلك إلا في الجرائم الكبرى التي قد تصل عقوبتها إلى الإعدام. وهكذا ترك جديون ليدافع عن نفسه دون محام، ونظرا لأن له عدة سوابق، فقد أدانته المحكمة وقضت بسجنه لمدة خمس سنوات.

ولكن جديون من سجنه أرسل التماسا إلى المحكمة العليا، يطعن في دستورية محاكمته، محتجا بأن من حقوقه الدستورية أن يوكل له محام على نفقة الحكومة. وأثارت المسألة مناقشة قانونية واسعة: هل من العدل أن يكون ممثل الإدعاء (وكيل النيابة) محام دارس للقانون، بينما لا يتمتع الطرف الآخر (المتهم) بنفس الميزة؟ أين تكافؤ الفرص إذن الذي يكفله الدستور ؟! .. وهل من العدل أن يقصر هذا الحق على من لهم ظروف خاصة كأن يكون المتهم أميا أو غير متعلم أو منخفض الذكاء أو أن تكون وقائع الجريمة معقدة؟

وأمام المحكمة العليا اعترضت ولاية فلوريدا بأن المتهم جديون قد سبق له أن حوكم أربعة مرات، مما أعطاه خبرة بالإجراءات القضائية، وأن المحكمة لم تكن متحيزة ضده ... إلخ. ولكن أهم اعتراض أثير هو أنه يوجد عشرات الألوف يقضون عقوبات مختلفة في سجون البلاد قد حوكموا وأدينوا وصدرت ضدهم أحكام دون أن يتوفر لهم محام للدفاع، وأنه في حالة تقرير هذا الحق، سيصبح من حق كل واحد من هذه الألوف المتراصة أن يطلب إعادة محاكمته، أو بمعنى آخر، إن قرارا كهذا سوف يسبب ارباكا شديدا لحكومات الولايات فضلا عن التكاليف الباهظة، ولكن قضاة المحكمة العليا قرروا بالإجماع أنه **مهما كانت النتائج مكلفة من الناحية العملية فهذا لا يبرر استمرار خطأ دستوري يمثل انتهاكا للحرية والعدالة.**

وهكذا تقرر الأمر وأصبح من حق كل من يمثل أمام محكمة أن يتوفر له محام ولو كانت القضية مجرد مخالفة لقوانين المرور. وأعيدت محاكمة جديون وفاز بالبراءة في أغسطس ١٩٦٣.

وقد أثارت هذه القصة أوجاعا في نفسي عن أمور كثيرة صارخة تحتاج إلى مراجعة وتمحيص في حياتنا ولكننا لا نقترب منها، والحجة المشهورة هي: أننا متى بدأنا المناقشة، سوف نفتح على أنفسنا بابا لا يغلق، ونفسح مجالاً للتشكيك في كل شيء وأي شيء، ليس هذا فقط بل إننا سنقدم لمن يعادينا حججا جاهزة لكي ينتقدنا ولسان حاله "لقد شهد شاهد من أهلها". وأصبحت هذه الحجج مبررا للتمسك بكل ما هو قديم، حتى بعض الأمور التي لا ندري لها أصلا، وأخرى وضعها أناس فرضوا أنفسهم على الكنيسة برشوة الحكام، وآخرون عاشوا في عصور تخلف شديد فصاغوها في نظمهم وترتيباتهم.

لقد انتجت السينما الأمريكية فيلما عن هذه القصة واختارت له عنوان "بوق جدعون"، ولعل كاتب الفيلم أراد أن يستعيد صورة جدعون وهو في عدد قليل يهز بأبواقه الكثرة القوية. لقد استطاع رجل وحيد أن ينتزع حقا ضائعا لعشرات الألوف من معاصريه، وللملايين أتوا بعده، وأن يصحح خطأ سكت عنه من هم أكثر منه تعليما وادراكا؟

ويبقى السؤال: أيهما أكثر خطورة: أن نغض النظر عن علامات الاستفهام المعلقة حتى ييأس كثيرون وينفضوا عنا؟ أم نفتح الباب أمام الرياح القوية التي تزيح رمالاً تراكمت على صخرة الإيمان؟ وهل من الصحيح أن مثل هذه الرياح تشكل تهديدا للكنيسة، أم أننا - نحن الخدام - نخشى على أنفسنا؟!

٢٢ـ الإدارة الحديثة

في عصرنا لا يكفي للنجاح أن تتوفر الموارد أو تتواجد الكفاءات، فقبل كل شيء، لا غنى عن الإدارة العلمية. وتعالوا نتفق أولاً على معنى الإدارة الحديثة .. **ببساطة هي تحديد هدف في حدود الموارد المتاحة، ثم اختيار الوسائل التي توصل إلى الهدف ثم ترجمة هذه الوسائل إلى خطة، ثم توصيف للمسئوليات المتنوعة في تنفيذ هذه الخطة وتوزيع المسئوليات على الأفراد المشاركين ثم متابعة التنفيذ طبقاً لبرنامج زمني مع تقييم النتائج على فترات محددة.**

ولنأخذ مثالاً لنشاط كنسي :

الهدف: تقوية الصلة بين الناس والكنيسة.

الوسائل: زيادة المعرفة بالحياة الروحية وتنمية العلاقة بين الناس والكنيسة .

المشروع: عمل نهضة روحية لمدة أسبوع.

الموضوع الأساسي: المحبة.

الموضوعات الفرعية: محبة الله - محبة القريب - المحبة الأسرية - محبة الوطن

الإعداد: تحديد الموضوعات - الاتفاق مع المتكلمين - ترتيب انتقال المتكلمين - الإعلان والدعوة إلى النهضة - تجهيز البرنامج اليومي (ترانيم - صلاة -كلمة) - تجهيز مسابقات وهدايا - أفلام قصيرة للأطفال - أوراق أو كتب للترانيم

الخطة الزمنية: تقام النهضة من ٨/١٥ إلى ٨/٢١

توقيت الإعداد:

١ يوليو	اجتماع صلاة - تحديد الهدف والموضوعات - توزيع المسئوليات.		
٧ يوليو	الاتفاق مع المتكلمين - اختيار الترانيم.		
١٥ يوليو	تنفيذ المطبوعات - بدء الإعلان والدعوة - حجز الأفلام		
٢٠ يوليو	إعداد المسابقات والهدايا.		
٥ أغسطس	قداس خاص - لقاء مراجعة وتنسيق.		
١٥ أغسطس	بدء النهضة.	٢١ أغسطس	انتهاء النهضة.
٢٥ أغسطس	لقاء للتقييم.	٣٠ أغسطس	تقرير نهائي

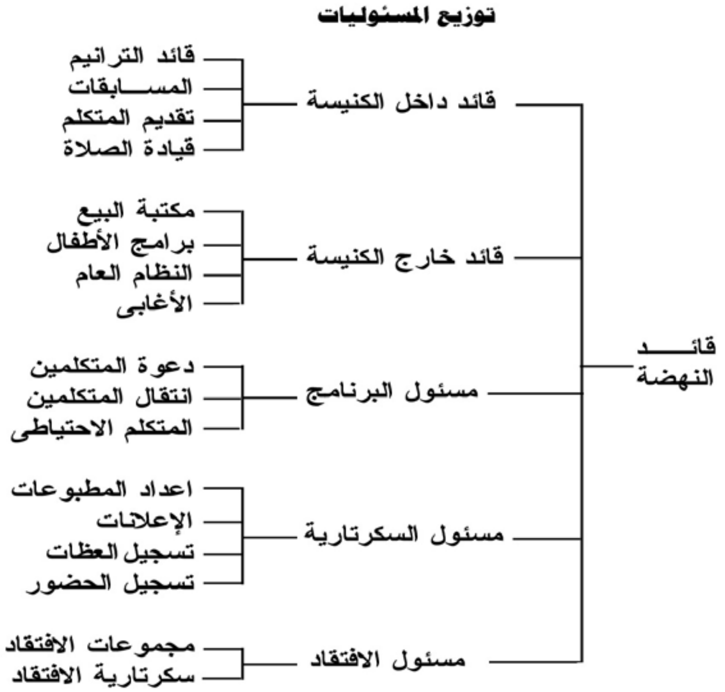

هل يبدو الأمر معقداً؟ الحق أن العكس هو الصحيح. **إن الإدارة السليمة قائمة على مبدأ توزيع المسئوليات،** مع تحديد كل مسئولية بوضوح تجنباً لأي تداخل أو تواكل. **وكل هذا الإعداد من أجل تحقيق الهدف، وتجنب أية مواقف مفاجئة:**

مثال انقطع التيار الكهربائي عن الكنيسة

قام المسئول داخل الكنيسة بإضاءة عدد كبير من الشموع سبق تجهيزه وبتقديم مكبر صوت يعمل بالبطارية سبق توفيره

مثال حضر عدد كبير من الأطفال مع عائلاتهم مما سبب تشويشًا

قام المسئول خارج الكنيسة بتوجيه الأطفال إلى قاعة مجاورة حيث شاهدوا عددًا من أفلام الفيديو المختارة بحيث تغطي مدة عرضها الفترة المخصصة للنهضة.

أما ترك الأشياء لوقتها، "ووقت الله يعين الله"، فهذا غير مقبول، وتصوروا لو انقطع التيار وأخذنا نبحث عن مكبر للصوت، ثم اكتشفنا أنه بدون بطاريات !!

وفي لقاء التقييم يجتمع المشاركون في العمل للإجابة على أسئلة محددة:

هل كان الإعلان مؤثراً؟ وكم كان متوسط الحضور؟

إلى أي مدى كانت الأنشطة المساعدة ناجحة ومؤثرة؟ ...

وكم يكون طيبًا لو قدمت هدايا رمزية لكل من ساهم بأي قدر في الخدمة.

واضح إذن أن الإدارة الحديثة تقوم على تفويض السلطة مع احترام كامل لتقسيم المسئولية، فلو فوضنا مسئولية ما إلى أحد الخدام فله مطلق الحرية في التصرف ولا يجب أن يستأذن قبل كل خطوة. أكثر الخدام يشتكون من سلبية الشباب، وتكاسلهم، وإهمالهم فيما يطلب منهم. **فليكن معلومًا أن من لم يشارك في التخطيط لن يتحمس للتنفيذ،** لذا فلتكن المشاركة حقيقية من البداية وليست مشاركة صورية، وينبغي أن يكون لكل خادم ولكل شاب رأيه منذ اللقاء الأول لتحديد الهدف، وأن يؤخذ رأيه في الاعتبار، وما الذي يمنع أن تتعدل موضوعات النهضة بناء على رأي المجموعة ؟! .. **إن على خادم الشباب أن يثق في الشباب، وأن يؤمن بقدراتهم، وصدقوني عن تجربة، أن من هؤلاء الشباب ستخرج طاقات مذهلة.**

والاعتراض المألوف على هذا الأسلوب في تفويض المسئولية والسلطة، هو أن شابًا ليست له خبرة كافية في الخدمة قد يكون سببًا للعثرات، وستكون تصرفاته محسوبة على الخدمة، نعم هذا ممكن، ولكننا نعمل في إطار المجموعة، وما يفوت سمير لن يفوت نبيل .. وهكذا. **ولا شك أن الخطأ وارد في كل المجالات ولكن كلما اتسع مجال تقسيم المسئولية كلما قل احتمال الخطأ، فضلاً عن المتابعة الدائمة التي تقوم بها المجموعة.**

ومن منا بلا أخطاء؟! .. وماذا لو كان كل شيء معلقًا بقائد واحد، ثم اخطأ هذا القائد ولو سهواً، ألن ينهار العمل كله؟!

ثم ماذا عندما نشرع في إعداد نهضة أخرى؟ وفي هذه المرة ياعزيزي الخادم، سيكون لديك عدد كبير من الشباب ممن اكتسبوا خبرة سابقة تستطيع أن تسلمهم المسئولية لو أرادوها، ولو شجعتهم أنت، واحتضنتهم وسترت عليهم بجناحي المحبة والفهم.

٢٣ـ العمل الجماعي

العمل المطلوب إذن متسع ومتعدد الأبعاد، ويحق للخادم أن يتساءل، كيف يمكن له أن يبحث في التراث، ويدرس الكتاب المقدس، ويمارس عبادته، ويدير النشاط، وفي الوقت نفسه يتابع وسائل الإعلام، ويقرأ في علوم العصر، و.. ؟

لقد مضى زمن العبقري الذي يخرج على الناس بالحلول. ومضى زمن المخترعين الأفراد، وأصبح زمننا هو زمن الفريق، فكل إنجاز تسمع عنه ناتج عن عمل منسق شارك فيه كثيرون. وفي مؤتمر علمي، سألت أحد العلماء الهنود: كيف تأتي لهم في بلد تعداده نحو مليار نسمة يعانون من الفقر والتخلف مشاكل لا حصر لها، أن يحققوا هذا التقدم العلمي والإنجاز التكنولوجي الهائل؟ فأجابني بأن السر يكمن في كلمة واحدة هي **"تنسيق الجهود"**.

لقد أتي زمن العمل الجماعي وهي مسألة نجد صعوبة شديدة في تقبلها. فمن ناحية توجد في أعماق وعينا صورة الهرم الذي يعلوه الفرعون، ومن ناحية أخري نحن نتربى بطريقة فردية وعلى أن نحيا كأفراد، ومن ناحية ثالثة نحن لا نتصور كيف يمكن أن يعمل فريق متجانس. وحتى أن تصورنا هذا لا نستطيع أن نري العدد الكافي من "القامات الروحية" للتصدي لهذا العمل المتسع.

إن الخادم القائد ينتمي بالضرورة إلى جيل سابق لجيل الشباب الذين يخدمهم، ومهما حسنت نواياه، فلن يستطيع أن يدرك تماماً معاناة وتطلعات هؤلاء الشباب، وبالتالي لن يستطيع أن يقدم لهم ما يشبعهم ويروي ظمأهم.

وهنا يكون للخادم: إما أن يكرر أساليب الخدمة التي سبق أن قدمت له وقت أن كان شاباً، وإما أن يحدد احتياجات الشباب لما يجب أن يقدم لهم من نشاطات وموضوعات.

إن أسلوباً فعالاً في خدمة الشباب في الثمانينات لن يصلح بالضرورة الآن، إن اجتماعاً للصلاة كان يستمر ساعة قديماً، قد لا يتجاوب معه الشباب اليوم. نعم يحتاجون إلى اجتماع للصلاة، ولكن في شكل آخر يتناسب مع تكوينهم الذهني والنفسي، ومع إيقاع حياتهم .. بل إنه من المؤكد أننا بحاجة إلى ابتكار أشكال جديدة تماما للخدمة. وقد أثبتت التجربة أن دراسة أغلب الموضوعات في حلقات للمناقشة، أو بتقسيم الشباب إلى مجموعات عمل، أكثر فاعلية بمراحل من اسلوب المحاضرة أو الوعظ فضلاً عن فائدته في إكساب الشباب عدداً من الخبرات

التربوية البناءة، مثل: التعبير عن الأفكار، احترام فكر الآخر، الشعور بالانتماء، القدرة على القيادة، التعاون، الثقة في النفس...

ورغم أن الاستبيانات هامة جداً في التعرف على احتياجات الشباب، إلا أنها إذا قدمت في شكل تقليدي مباشر لا تعطي إجابات حقيقية. فأحيانا لا يعرف الشباب ما يحتاجون إليه، لأنهم لم يتدربوا على ترجمة انطباعاتهم أو على التفكير المنظم.

إن علينا أن نقدم لهم ليس ما يطلبونه فحسب، بل وما يحتاجونه فعلاً، وبالشكل الذي يتفاعل معهم. ففي فترة ما قد لا يشعر الشاب بحاجته إلى اكتشاف ذاته أو إلى تكوين علاقة قوية مع شخص ربنا يسوع المسيح، إلا أن هذه الحاجة تكون كامنة تحت ركام من ضغوط الحياة اليومية والفكر المشوه الذي نشأ عليه... وحتى في هذه الحالة لا ينبغي أن يقدم إليه المسيح بشكل وعظي مباشر.

وما الحل إذن؟... **لابد من أن نتخلى عن أسلوب الاتصال في اتجاه واحد** (من أعلى إلى أسفل)، بمعني أسلوب الإملاء أو تقديم النصائح والحلول. لابد من التفاعل الحقيقي مع الناس وأن يكون اتصالنا بهم اتصالاً ذي اتجاهين ...أخذ وعطاء. **ولكن لنحترس فلو طلبنا من الشباب أراءهم ثم تجاهلناها سيصيرون أكثر سلبية، ويصبح من العسير تكرار أخذ الآراء مرة أخري، فسيكون الرد وقتها: وما الفائدة ما دمتم لا تسمعون ما نقول!** ولن يقدم الشباب آراءهم بصدق، بدون مشاركة حقيقية في الخدمة أي لو لم يكن العمل جماعياً بكل معني الكلمة، لكل دوره، ولكل حرية اتخاذ القرار في حدود هذا الدور، والكل يعمل في إطار خطة ونحو هدف ناقشوه معاً وأقروه معاً واقتنعوا به معاً. وذات مرة ناقشني خادم في أسرة جامعية، بأنه أعد الخطة ووزع الأدوار على الشباب، ومع ذلك لم يستجيبوا وظلوا على سلبيتهم. وكان يجب أن يتوقع الخادم هذا، فبديهي أن هذا ليس عملاً جماعياً. **فهناك فرق بين أن يقوم الخادم بدور المنسق في العمل الجماعي، وبين أن يقوم بدور المخرج في مسرحية من تأليفه!**

وباعتماد أسلوب العمل الجماعي يمكننا أن نضرب عدة عصافير في آنٍ واحد:

+ فهو يثبت انتماء الشاب إلى الكنيسة، ويحوله من مستمع إلى عضو في الجسد.

+ وهو ثانياً يعطي التقييم الفوري لأي أسلوب قديم أو جديد لخدمة الشباب.

+ وهو ثالثاً يوفر الطاقات الكثيرة والمتنوعة اللازمة للتصدي للعمل المطلوب.

+ وهو رابعاً يجعل الشاب متلامساً مع طبيعة الخدمة ومدركا لظروفها عن قرب، فينتقل من التذمر السلبي إلى موقف النقد الإيجابي البناء المشارك في المسئولية.

+ وهو خامساً يتيح الفرصة لكل شاب لكي يكتشف وزناته فيعي رسالته التي خلقه الله لأجلها، ويصبح للحياة معنىً أكبر من مجرد العيش مثل باقي الناس.

+ وهو سادساً يعد جيلاً جديداً سيأتي عليها الوقت لتتحمل المسئولية، فلا تهتز الخدمة إذا رحل القائد إلى مدينة أخرى أو محافظة أخرى أو إلى الحياة الأخرى!

إن الإصرار على إبقاء شكل الخدمة في صورة قائد واتباع، لن يؤدي إلا إلى تعميق الفردية والسلبية في حياتنا، وإلى انفضاض كل ذي موهبة عن خدمتنا ..

وقبل الدخول في التفاصيل نرجو أن يضع الخادم في اعتباره بعض المحاذير:

١- التواجد المتكرر للمجموعة معاً دون هدف واضح لا يبني.

٢- البدء بتوقعات كبيرة يؤدي بعد فترة إلى فتور الحماس.

٣- تعاظم دور الخادم أو القائد يحرم المشاركين من خبرات المسئولية والعمل.

٤- التعجل في الوصول إلى الأهداف يفتت المجموعة إلى قائد وأتباع.

٥- الاهتمام الزائد بالإنجاز على حساب الوسائل علامة على اختلال المعايير.

٦- الاهتمام بنمو العدد على حساب وضوح الهدف يضيع الهدف والمجموعة معا.

٧- نمو الجماعة دون أن تفقد فرداً واحداً (إن أمكن) يستلزم اتساع هدف الجماعة ليشمل أهداف المشاركين في اطار الهدف العام للمجموعة.

وفيما يلي ورقة عمل قدمت في مؤتمرات أسقفية الشباب تحت عنوان:

كيف تؤسس وتنمي مجموعة عمل في أحد مجالات خدمة الشباب

أولا : تكوين الجماعة

القائد أو المؤسس
- الإيمان بالهدف
- القدرة على نقل الحماس
- كسر حدة البداية
- الإلتزام والجدية

اعلان الهدف
- هدف يهم الأغلبية
- هدف يلبى احتياجا
- مرتبط بنمو علاقتى بالمسيح
- توقيت ومناخ ملائم للإعلان

تجمع الأعضاء
- لا شروط مسبقة
- لا تكاليف للعضوية
- بداية فورية للعمل

الجماعة المنفتحة
- لا أســــرار
- الأعضاء يصبحون مؤسسين
- لا تســـلط
- رفض التكوين الانتقائى

ثانيا : أسلوب العمل

الديمقراطية
- التخطيط المشترك
- تنوع الرؤى
- اتساع الهدف
- الحماس فى التنفيذ
- **بالحـــــوار**

تقاسم المسئولية
- تعدد الطاقات
- التعاون والترابط
- تعميق الإنتماء
- اكتساب خبرات
- **بالتطـــوع**

الوزنات المدفونة
- السعى وراء الصامتين
- الفرح بالعمل لذاته
- وليس بمستواه
- كسر الإغتراب
- **بالفهـــم**

الاستمرار
- المثابرة بلا يأس
- الالتزام والمواظبة
- ثبوت الشكل لفترة
- قبول النقد الموضوعى
- **بالإيــــمان**

القيادة الجماعية
- عدم ترهل القائد لانعدام المنافسة
- عدم ترهل الأعضاء لانعدام المسئولية
- كسر حدة البداية للأعضاء الجدد
- كسر رتابة الشكل والمضمون

ثالثا : نمو الجماعة

عمل النعمة
- الجسد الواحد
- الصـــــلاة
- الخروج من الذات

الشـــــركة
- المحبة والعمل
- الحوار والفهم
- الاهتمام بكل عضو
- تذويب الخلافات
- المواقف المشتركة
- التواجد المتكرر

روح الجماعة
- التقييم المستمر
- التمسك بالتعايير
- أولوية النمو الروحى
- أولوية كسب النفوس
- متابعة العمل
- مرونة الخطة

التجديد الدائم	نقل خبرات الآخرين
الدراسة والبحث	مراجعة الاحتياجات

٢٤ـ الثقافة العامة

حين بدأ العدوان على مصر عام ١٩٥٦، طلبت السلطات من راهب فرنسي- كان مقيماً بالإسماعيلية، الانتقال إلى القاهرة لظروف الحرب. وفوجئ المسئولون بالمدينة كلها تخرج لوداع ذلك الراهب في محطة القطار! لقد كان الرجل مديراً لإحدى المستشفيات الخيرية وقضى أغلب عمره يخدم الناس في إخلاص وتجرد.

"أنتم نور العالم ... لا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة ليضيء لكل من في البيت - مت ٥ : ١٤". إن ممارسة الخدمة لدورها في المجتمع أو بمعنى آخر الالتزام الاجتماعي للخدمة، أي استيعاب هموم المجتمع وغرس الانتماء والإيجابية في نفوس الشباب، جزء لا يتجزأ من رسالة المسيح.

ولكن كيف نحب من لا ندري عنه شيئاً ؟... إن فخ الطائفية منصوب لبلادنا، وعلينا أن نبذل كل جهد من أجل تجنيب بلادنا السقوط في هذا الفخ المميت .

وكما ينشأ التعصب من الجهل بالآخر، يضمحل التعصب بالاحترام المتبادل، والذي ينشأ عن المعرفة الحقيقية المنصفة، وعن الفهم الساعي نحو الفكر الآخر.

إني لا أجد بديلاً عن دراسة التاريخ العربي، واستيعاب منجزات الحضارة الإسلامية منذ أن نشأت وحتى بلغت أوجها في القرن الرابع الهجري، إن هذا الفهم سيساعدني على إدراك آلام وآمال وهموم وطموحات إخوتي في هذا الوطن. وبالمثل أيضا لو تعرف أخوتنا المسلمون على التراث والحضارة القبطية.

وللمسألة أيضا بعد آخر، إن الفهم الأرثوذكسي- يعتبر الإنسان هو الهدف من عناية الله ورحمته وتدبيره وخلاصه. إن هذا الفكر ينبغي أن يترجم في حياتنا إلى سعي لاستيعاب التراث الإنساني في كل ميادينه. إن الإنسان الحقيقي لا غني له عن الإلمام بهذا التراث العريض في الفلسفة والفن والأدب والعلم والتاريخ والحضارة. إن هذا الإلمام سيكون لنا النظرة المسكونية للحياة ، فنحن لا نحيا وحدنا في هذا العالم، ولا نستطيع أن نحيا وحدنا. نحن بحاجة إلى غيرنا، كما أن غيرنا بحاجة إلينا...

إن المسيح، خالق ورب هذا الكون، قد استعلن بشكل أو بآخر في كل حضارة وفي كل إبداع وفي كل زمان ومكان .. وكم ستزداد حياتي ثراءً حين أري يد الله الفاعلة في منحوتات

مايكل انجلو ولوحات رامبرانت وفان جوخ وموسيقي موتسارت ومسرحيات شكسبير وآرثر ميللر وروايات دستويفسكي وتولستوي وديكنز وهاردي وهوجو وأندريتش وماركيز، وأشعار الذبياني والمتنبي وعبد الصبور وأمل دنقل وحجازي، وفلسفة المعتزلة وابن رشد وبرجسون وبرديف وهيجل ودوركايم، وأفكار الجاحظ وجبران ولويس عوض، وعمارة لويداريت وحسن فتحي، واطروحات برتراند راسل وتوينبي وشاردان وقوانين حمورابي ونسبية اينشتين.

إن الشاب الذي يسعي إلى بناء نفسه في المسيح، ينبغي أن ينال الفرصة لتكوين ثقافة حقيقية، وعلى عكس الشائع، ليست الثقافة هي المعرفة أو المعلومات العامة، بل هي تفاعل هذه المعرفة مع شخصيته الحية لتنتج في النهاية نظرة شاملة في الحياة، وموقفاً تجاه المجتمع. وليست الثقافة كما نظن متصلة بقوى الفكر فحسب، بل هي تهذب العاطفة وتشحذ الإرادة أيضا، فمن يقرأ لثاكري وجالزوثي، ولا يعلي من شأن الأصالة على الزيف؟ ومن يطالع لطه حسين ولا يتحفز لتخطي العقبات؟ ومن يتذوق شتاينبك ولا يرفض كل أنانية؟!..

وبنفس القدر الذي نسعي به نحو الآخر، **ينبغي أن نتيح الفرصة للآخر لكي يقترب إلينا.** إني أتصور أن علينا مسئولية هامة نحو تعريب تراثنا كاملاً. فإلى متى سيظل فكر الآباء سجيناً للغة اليونانية. إننا بهذا التعريب[٢٠] نحطم ذلك السد القائم أمام شبابنا بل وأمام الجميع، يمنعهم من استيعاب هذا التراث الحي والتفاعل معه.

إن التعريب وحده هو الذي سيثبت إلى أي مدى عمل روح الله في أجيال متعاقبة، وهو الذي سيثبت أن هذا التراث صالح لأجيال كثيرة ستأتي بعدنا. **إن سكوتنا عن تعريب تراثنا وتحقيقة ودراسته واستيعابه، يجعلنا كمن يحرم طفله الرضيع من لبن الأم اكتفاء بتغذيته بالمحاليل!**

---

[٢٠] يقوم عدد من الدارسين الأقباط بجهد بديع في هذا المجال نرجو له الاستمرار

٢٤ـ البناء الثقافي للشخصية

الثقافة ليست جمع المعلومات بل فهم المعلومات، وليست معرفة الظواهر بل إستيعاب الظواهر، وليست مراقبة الحياة، بل خوض معاركها. فالثقافة السليمة هي الوعي النابع من المعرفة والتجربة الشخصية والجماعية، عندما يترجمه المثقف إلى موقف من القضايا اليومية وإلى إلتزام أدبي واجتماعي ومسئولية فردية ووطنية ومسكونية. والثقافة ليست بالضرورة شيئاً جيداً بل يمكن أن تكون الثقافة متخلفة أو رجعية. **الثقافة إذن هي مجموعة من الأفكار والمبادئ السائدة التي يتعامل الناس على أساسها ويبنون قيمهم وتقييمهم للناس والمواقف والحياة عموماً.**

أبعـــاد الثقـــافة

ثقافة عالمية: بمعنى التيارات السائدة في الفكر والمجتمعات على إتساع العالم. فمثلا أكثر الناس في العالم يعلون من شأن المال ويقيسون قيمة الفرد حسب أنماط إستهلاكية معينة.

ثقافة أقليمية: وهي الأفكار والتقاليد التي تحكم منطقة من العالم، فمثلا الغرب يعلي من شأن العلم والعلماء، ويضع الحرية الشخصية وقيمة الإنسان الفرد في مكان رفيع. وبينما يعلى الشرق من شأن الدين تجده ينظر نظرة دونية إلى المرأة.

ثقافة الجماعة الكبيرة (الوطن): المصريون عموماً، يجلون القديم، ويخشون السلطة ولا يثقون فيها، وللغيبيات مكان خاص في حياتهم، ولإكرام الموتى بصفة عامة حيز مهم من حياتهم، والمصريون محبون للحياة رغم صعابها.

ثقافة الجماعة الصغيرة: مثال: الأقباط يعلون من شأن الأمانة، ولا يلجأون إلى العنف، ويستخدمون أسماء معينة، ويتمسكون بعادات وتقاليد من العصور الفرعونية بعد صبغها بالصبغة المسيحية: مثل صلاة الثالث والأربعين.

ثقافة شخصية: المباديء التي تعلمتها في بيتي وبيئتي: اؤمن بالعنف أو أمقته، أحترم الآخر أو أنفر منه، أُعلى من شأن المظاهر أو لا أُعيرها إهتماماً. ففي المناطق التي يسود فيها مبدأ الثأر، يشعر الرجل بتأنيب الضمير، بل ويصير منبوذاً من مجتمعه لو تقاعس عن الانتقام. وفي مناقشة ذات مرة حول قضية ثأر، جرؤت على أن أنصح بالتسامح فكان الرد: نسامح ونضع رأس أهلنا في الطين!

حول الثقافة المسيحية

١- إن الفكر الأرثوذكسي يعتبر الإنسان هو الهدف من كل عناية الله ورحمته وتدبيره، وهو موقف السيد المسيح (السبت لأجل الإنسان).

٢- إن السيد المسيح خالق ورب هذا الكون، قد استُعلن في كل إبداع إنساني. أننا نرى قوة المسيح الفاعلة في كل إنجاز حضاري عبر الزمان والمكان: في الفكر والفن والتاريخ والعمارة والحرف والإكتشافات العلمية والمبتكرات الإنسانية.

٣- أن الرب دعا إلى التفكير (لو ٢٠: ١) وطالبنا بالدخول إلى العمق موبخاً أولئك الذين إكتفوا بالقشور "أخذتم مفتاح المعرفة .. - لو١١: ٢ "

٤- أن السيد المسيح هاجم الجمود في كل صُوره فقد أتى ليُكمل (مت٥: ١٧) ورفض التمسك بالشكل (مت٢٣: ٢٣) معلنا أن أموراً كثيرة ستأتي (يو ١٦: ١٢) .

٥- أن الرب طالب تلاميذه بأن يترجموا معرفتهم إلى حياة (إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه - يو ١٣: ١٧).

نخلص من هذا إلى أن .... **الإنسان المسيحي الحقيقي بالضرورة مثقف.**

سمات الثقافة المسيحية

ثقافة حتمية: لابد للمسيحي أن يأخذ موقفاً إيجابياً من الحياة والمجتمع.

ثقافة إنسانية: هدف المسيحية هو الحياة الأفضل للجميع هنا على الأرض.

ثقافة حياتية: فما قيمة التشدق بالمبادئ المسيحية دون ممارستها؟

ثقافة تقدمية مستقبلية: ننظر للغد، إلى الأفضل ولا نقنع بما هو قائم.

ثقافة قائمة على إحترام العقل: وإعمال الفكر في كل شيء.

كيف أبني ثقافة سليمة؟

- **أسعى إلى معرفة ما أجهله**
- **اختبر و اتدبر ما تعلمته**
- **بناء وعي بالاتجاهات السليمة**
- **تكوين موقف وإلتزام حياتي**

مصادر الثقافة

١- التقليد: بمعناه الواسع من تقليد الكنيسة في رشم الصليب والليتورجيات المتنوعة إلى ما نتشربه من عادات وأساليب بل وأمثال شعبية.

٢- الكتاب المقدس: تعاملات الله مع الإنسان - الطبيعة الإنسانية - تدخلات الله في التاريخ - إعلانات الله عن ذاته للناس.

٣- التراث الإنساني: تطور الفكر (الفلسفة) - سيطرة الإنسان على الكون (العلم) - تطور المجتمع واسلوب الحياة (الحضارة) - تطور الإبداع (الفن).

٤- التيارات الجارية: روح العصر وقضاياه ومتغيراته ومتابعتها يوما بيوم: الأفكار السائدة وأثرها على السلوك الفردي والجمعي. الكمبيوتر وأثره على التفكير والسلوك. قضايا المرأة والسكان والبيئة. التغير في المسلمات (الوحدة العربية - الأمراض المستعصية - مؤسسات المجتمع وسيطرتها على الأفراد)

وسائل الثقافة

١- القراءة: الواعية و ليست الناقلة.

٢- التأمل: العملى وليس الرومانسي.

٣- البحث: الأصيل وليس المنسوخ.

٤- الحوار: الفعال وليس الجدل.

معوقات الثقافة

أخطاء شائعة:

- الثقافة بعيدة عن الدين.
- الثقافة تبني الفكر فقط.
- الثقافة ضد بساطة الروح.
- الثقافة الزائدة تربك الفكر.

أسلوب التربية:

- يعطل قوى الفكر.

- يغلق فرص الحوار.

موقف الخدمة:

- الشك في نفع الثقافة.
- التعالي على فكر الآخرين.
- تعظيم التراث بالقول وليس بالفعل.

المناخ السائد: السطحية والتخلف في وسائل الإعلام والتعليم.

التكلفة المتزايدة: إرتفاع أسعار الكتب وسائر وسائل الثقافة.

ضوابط السعي نحو الثقافة

- التجرد من الذاتية والآراء المسبقة.
- النظرة الشاملة المتسعة وتجنب المراهقة الفكرية.
- وضوح الهدف.
- وجود خطة للتثقيف (ليست مطلوبة في البداية).

الأهمية الخطيرة للثقافة

خطورة الثقافة، هي أنها أردنا أو لم نرد، تشكل كل شيء في مجرى حياتنا:

١- تحديد الهوية:

المقصود بالهوية هو ما يميز أية جماعة إنسانية عن باقي الجماعات من حيث عاداتها وتقاليدها، اتجاهاتها الفكرية، أسلوبها في الحياة، تعاملها مع الأغيار من بشر ومادة. أو في كلمة واحدة "ثقافتها". ولكن شبابنا لا يعلم ما هي هويته الحقيقية، فأسلوب التعليم والإعلام وكل ما سبق أن أشرنا إليه من قصور، يضع الشاب في حيرة شديدة فلا يعلم من هو، ولا يعلم ماذا يريد حقيقة. إن علينا فهم تراثنا وإدراك الاتجاهات الأساسية للحياة المسيحية (من نحن وماذا نريد؟).

٢- تكوين النظرة الموضوعية:

التغلب على التطرف الفكري وربط الرأي بقائله وتفسير الواقع وليس تبريره.

مثال: الأحادية في التفكير - إرجاع كل المشاكل إلى سبب واحد - قضية التطرف وكيف نفكر في حلول لها (المواجهة الفكرية - المواجهة الأمنية - المواجهة الشخصية - تنمية روابط المحبة مع الآخرين - هل مؤشرات المستقبل مطمئنة؟)

٣- إرهاف التذوق الجمالي:

لا أظن أن الاستمتاع بالحياة يتعارض مع الوصايا، وإلا فلماذا خلق الله الكون بهذا الجمال أليس ليعلن للإنسان عن محبته له؟! إن النفس تشبع عندما ترى بدائع صنع الله، وما أنجزه الإنسان المخلوق على صورة الله. إن هذا يبني نفسية سوية هادئة منفتحة للكل، فالخادم المُشبَع عاطفياً قادر على إشباع الآخرين، وتنمية القدرة على الإبداع لدى شباب يخدمهم. إن الفن الراقي يغسل النفس من همومها ويحررها من مخاوفها ويطلق طاقاتها. جرب أن تناقش الشباب عن الانتماء قبل زيارة معبد فرعوني وأن تستأنف المناقشة بعد الزيارة. جرب أثر الموسيقى والإلمام بالفن التشكيلي على القائمين بالخدمة في وسائل الإيضاح، بل وعلى الكبار والصغار. وعن تجربة شخصية فان تذوق الفنون الراقية مثل الموسيقى والمسرح ينعكس بشكل محسوس في صورة تطور مستمر في وسائل وأساليب وأشكال الخدمة، ويخرج باجتماع الشباب من إطاره المتكرر. إنني أزعم أن كل خدمة شباب لابد أن تحرص على الحصول على نسخة من البرنامج السنوي لدار الأوبرا بالقاهرة أو على الأقل أن تتابع البرامج الثقافية في التلفزيون على ندرتها.

٤- تعميق الانتماء:

أنا لا أحيا في فراغ، بل في بلد أعرفه وأحبه وأحمل همومه وأتطلع إلى أحلامه، وبدون هذا أعيش إغترابا قاتلا لطاقاتي، **والثقافة العامة كفيلة بكسر هذا الاغتراب.**

٥- تأصيل الالتزام الاجتماعي:

ماذا سيعود عليّ وماذا كسب الذين قبلي من إهتمامهم بالآخرين وتحمل همومهم؟ كيف أحب من لا أفهمه؟ ينبغي أن أدرك أن حياتي مرتبطة بحياة المجتمع ككل، **إن إستيعابي لتراث الإنسانية وتاريخ الحضارات الأخرى يساعدني على الخروج من الذات، ويجعلني أدرك أن عمل الله لم يبدأ ويتوقف داخل حدود المحيط الذي أعيش فيه، بل يتسع ويتنوع، فأدرك أنني جزء من كل.**

٦- استخلاص دروس التاريخ:

الناس هم الناس في كل عصر، والله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. **إن وجود بعد تاريخي في ثقافتي كخادم، يؤدي بي إلى رفض الفهم الرومانسي للتاريخ والهروب إلى أمجاد الماضي، والنجاة من التخبط بعيداً عن خبرة الأجيال وتكوين موقف سليم من الماضي.** مثال : كيف واجهت الكنيسة المشاكل الطائفية في العصور السابقة؟ وهي خبرة لا يمكن استقاءها من مصدر آخر.

٧- فهم متغيرات الحاضر:

يتعرض الشباب لتيارات فكرية متعددة مثل الاستهلاكية والإباحية ... إلخ، **نحتاج إلى تحليل هذه التيارات والتمييز بين الأصيل والزائف منها، وبناء القدرة على الصمود للضغوط الاجتماعية والإيمانية من خلال فهم هذه التيارات وتفسير أسباب صعودها أو إنحسارها.**

٨- تكوين رؤيا مستقبلية:

ماذا نفعل اليوم؟ وماذا سنفعل غداً؟ ماذا نتوقع أن تصير إليه الأمور لنعد نفوسنا وأولادنا له فلا يفاجأون به، لتكون مواقفنا أفعالاً وليست مجرد ردود أفعالٍ.

مردود الثقافة على الخادم و الخدمة:

- **الإعداد الجيد للخدمة.**
- **الفهم السليم لما يحدث حولنا.**
- **أستخدام المنهج المؤثر في التعليم والخدمة عموماً.**
- **استخدام الأسلوب المناسب للتعامل و التواصل مع الناس.**
- **التخطيط الجيد للمستقبل.**

بقي أن نقول أن الخادم الحقيقي بالضرورة مثقف

النوم الروحي

بمناسبة وبدون مناسبة يهرع الأقباط لزيارة الأديرة. ويذهب البسطاء بمتاع لا يزيد عن كتاب مقدس وأجبية وأبصلموديه وبعض الضروريات. أما الناس الواعية فيعدون أنفسهم تمام الإعداد للرحلة، فمن أطنان من الطعام والمقليات والمعلبات والمشروبات، إلى أكياس اللب والحمص والترمس، إلى أجهزة الراديو والتسجيل وأدوات التسلية .. ولم لا ؟! أليست رحلة.

وسرعان ما يصدح جو الأتوبيس بالأهازيج والأغاني مختلطة بصوت القداس المذاع على الهواء، أعني هواء الأتوبيس. وما الداعي للتنكيد على الناس بالتراتيل والمواعظ، فجو الرحلة ينبغي أن يكون مشبعاً بالبهجة والفرح .. الروحي طبعا!!

وتصل الناس الواعية إلى الدير، فينقضون مسرعين على راهب طيب، وتنهمر الأسئلة "اترهبنت ليه يا أبونا ؟" وينظر الراهب إليهم في وداعة وعيناه تكاد تقول "وما شأنكم أنتم ؟" وسرعان ما ينقلب هدوء الدير إلى ضجة، ونظافته إلى فوضى، وتتحول الممرات الساكنة إلى ما يشبه ميدان رمسيس وقت الذروة. بل أني ذات مرة رأيت أسرة قبطية اصطحبت كلبها المدلل إلى الدير لنوال البركة، وهو - أعني الكلب - مع المجاملة وحش من نوع "الوولف" في حجم فيل صغير!!

ويجلس الناس للشاي والطعام دون مراعاة لصوم أو غيره، فهم على سفر. ثم الدردشة الطويلة حول قراطيس اللب، والمزاح الممتع على أنغام الألحان المنبعثة من أجهزة التسجيل الزاعقة ..

وأخيراً النوم العميق، وعبثاً تدق أجراس الدير داعية إلى التسبحة، فما يستيقظ إلا قلائل، سرعان ما يستأنف أغلبهم النوم .. الروحي طبعا!!

يعترض البسطاء بأن زيارة الدير فرصة للخلوة ونوال دفعة للتوبة وبداية الحياة الروحية بجدية، ولكن بم نجيب على هؤلاء ؟! .. ناس مش واعية!!

٢٦ـ المشكلة الاقتصادية

لا يستطيع أي خادم أن يغمض عينيه عن المشكلة التي أصبحت حديث الساعة بين الشباب فقد طغت المشاكل الاقتصادية على حياتنا، ورغم محاولات خلق فرص للعمل، إلا أنه لأسباب كثيرة ضاقت أبواب الرزق أمام الشباب، وخاصة من خلال الوظائف الحكومية. ولأن شبابنا يعانون من الحرمان، فأغلبهم يجعل هدفه الأول هو الزواج، والحصول على دخل يكفل له الزواج ومستلزمات الزواج، وما أدراك ما هي مستلزمات الزواج! شقة وأثاث، وشبكة وزفاف، وأشياء كثيرة، يقف أمامها الشاب عاجزاً. لقد كنا نطالبه وقت أن كان طالباً بأن يذاكر وينجح، وقد نفذ ما طلب منه، وحصل على الشهادة، وإذا به يفاجأ بأن هذه الشهادة لم تفتح له أبواب العمل كما كان يتصور. ويتساءل الشاب بمرارة: لقد قمت بدوري، فلم لا يقوم المجتمع بدوره ويوفر لي رزقاً مضموناً ؟ **ولكن جوهر المسألة أن الشاب لم يتعلم كما يجب، أي لم يتم إعداده بشكل يؤهله لمواجهة الحياة.**

فمنذ الصغر لم تتح للشاب الفرصة لاكتشاف مواهبه، وفي البلاد المتقدمة تتضمن برامج التعليم ما يسمي بالتوجيه المهني career guidance ليكتشف الأولاد والبنات وزناتهم مبكراً. أما هنا فالشاب يتجه دائماً إلى الجهة الرائجة!

وفي فترة ما أشتد الإقبال على كليات الهندسة إذ كانت توفر وظيفة مضمونة وقت إنطلاقة مصر نحو التصنيع، ثم تحول التزاحم إلى كليات الطب بعد تزايد مكاسب الأطباء ثم إلى الصيدلة وهكذا. وأتوقع أن يتغير الاتجاه قريباً إلى كليات الحقوق، ليدور الزمن دورة كاملة قطرها ٥٠ عاما وقت أن كانت " الحقوق" في عصرها الذهبي. وإذا قصر جهد الشاب عن بلوغ الكلية المرموقة، ترك مقاديره إلى مكتب التنسيق، ليوجه حسب الظروف ليتخصص في مجال قد يتعارض مع مواهبه وميوله التي لا يدري عنها شيئاً من الأصل!

وهكذا شاع مصطلح بلا معنى هو "كليات القمة" . إن كلية القمة هي الكلية التي أتفوق فيها ، وليست الكلية التي تأخذ أعلى مجموع. وأكبر دليل على خلل نظامنا التعليمي، هو ما حدث مؤخراً حين اتجهت الغالبية إلى القسم الأدبي خوفا من عدم تحقيق درجات عالية في الرياضة والكيمياء والفيزياء، بينما العالم كله يلهث وراء العلوم والتقنية الحديثة! ألم نقل من البداية أن الخلل يكمن في طريقة التفكير.

والشاب في مراحل التعليم، يتدرب على الحفظ، ولا تنمي فيه ملكة التفكير الحر أو القدرة على الإبداع بأي شكل من الأشكال. والشاب طوال دراسته، تلقي في الغالب تعليماً نظرياً، ولم تتح له أية خبرة عملية، فضلا عن غرس التعالي على العمل اليدوي في قرارة نفسه. وكثير من الشباب قد تربى دون ثقافة حقيقية، ولم يهتم أحد بأن يكون له نظرة إنسانية شاملة أو فلسفة للحياة، فجنح إلى السلبية، وافتقد الرغبة في الكفاح وتحدي المصاعب.

والشاب أيضا قد نشأ بطريقة سلطوية، فغابت عنه القدرة على اتخاذ القرار، وتعود على إلقاء مسئولية حل مشاكله على الأسرة أو الدولة أو أية جهة سوى نفسه! وما بال هؤلاء الذين قدموا له حلولاً وهو طالب، لا يقدمون له حلولاً وهو خريج يبحث عن وظيفة وشقة وزوجة، ولو أمكن سيارة صغيرة "فوق البيعة"!

فأذا أضفنا إلى هذا، أن غياب التفكير المستقل للشاب يجعله دائماً يقيس نفسه في عيون الآخرين، ويقيم نجاحه بمقارنته بنجاح الآخرين، أدركنا أي ضغط رهيب يسقط تحته أولادنا وبناتنا، بينما نغمض نحن عيوننا، ونردد: هذه المشكلة الاقتصادية يعاني منها العالم كله، وليست مصر فقط!

وقد يعترض البعض مستنكرين: وهل تريدون من الخدمة أن تتصدى لهذه المشكلة أيضا؟! ..

لقد أتي المسيح لكي يحقق الحياة الأفضل للناس، ومادمنا قد تقدمنا لمسئولية الخدمة، فعلينا أن نجاهد لحل هذه المشكلة المصيرية. إن تعديلنا لمنهج التربية بما يتيح للشاب اكتشاف مواهبه وتنميتها، وخلق الروح الجماعية، وتكوين الشخصية القادرة على الإبداع، المدربة على مواجهة الصعاب والاعتماد على النفس، سيكون خطوة جبارة على طريق النجاح وهناك شيء آخر..

إن علينا أن نوجه قدراً من التبرعات إلى المشروعات التنموية، وإلى التدريب الحرفي لشبابنا حتى من يدرسون منهم، إن علينا إن نشجع بل ونلح على القادرين من الناس لتبني التفكير العملي والمساهمة دون تردد في خلق فرص العمل للشباب بشكل مباشر أو غير مباشر. إن شخصاً يتبرع بنجفة أو سجادة، أولي به أن يتبرع بمخرطة أو ورشة للنجارة أو فرن

للخزف...، وهكذا يتدرب الشباب في إجازاته الصيفية، وحين يخرج للحياة، يكون مسلحاً بحرفة تقيه شر الزمن.

وأقولها صريحة إن علينا أن نربي أولادنا على أساس أنهم لن يتعلموا تعليماً حقيقياً في المدارس. وتصوروا معي لو تحول آلاف الشباب، ممن ينتظرون خطابات التعيين من وزارة القوي العاملة، إلى منتجين .. كم سيفيدون أنفسهم وبلادهم، وكم سيكون هذا إسهاماً حقيقياً من الكنيسة المصرية في دفع عجلة التنمية في مصر، البلد الذي يعيش فينا .

سيعترض البعض بأن الكنيسة هدفها هو خلاص النفوس، وأنه بهذا ستتحول الكنائس إلى ورش ومصانع! ولكن - يا من تعترضون - هل رأيتم شاباً واحداً يعاني من إحباط اقتصادي أو فشل عملي ينتظم في الحياة الروحية؟ إن مثل هذا يكون معرضاً أكثر من غيره، متى أصابه اليأس، إلى تقديم أي نوع من التنازلات في سبيل تحقيق آماله، والشعور بكيانه المستقل.

إذن هل يتفرغ الخادم للتدريب المهني ومشروعات التنمية أم السعي نحو خلاص النفوس؟.. ومن قال أن التنمية ليست سعياً نحو خلاص النفوس؟ [٢١] ومن قال أن على الخادم أن يفعل كل شيء؟ إن الكنيسة في الفهم الأرثوذكسي هي كل الناس، ولو دعي كل الناس إلى المشاركة فسوف تتوفر الطاقات والإمكانات .. مرة أخرى العمل الجماعي يقدم الحل.

---

[٢١] "أن كان أخ أو أخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي، فقال لهما أحدكم أمضيا بسلام ... ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة" (يعقوب ٢: ١٥ ، ١٦)

ولا مليم !!

لا يوجد من يفوق الأقباط في سخائه نحو كنيسته المحبوبة، فتمتلئ الكنائس بالستور والكساوي وزجاجات الزيت والأباركة، وأكياس الفحم والبخور .. ويدفع الناس عن طيب خاطر من الأسمنت والحديد والطوب والبلاط، كما يتبرع كثيرون بصناعة الدكك للمصلين، خاصة بعج أن أخترعت بعض الأماكن ذلك التقليد غير الرسولى بكتابة اسم المتبرع على قفا الدكة، وهو التقليد الذي توقف استعماله منذ أيام المتنيح خنوم حتب كبير أساقفة منف.
حتى أن بعض الخبثاء قد روج إشاعة - غير صحيحة بالطبع - تقول: أن كم صنع دكة للكنيسة دخل الجنة على كرسي، وفي قول آخر على كنبة!

وتزدحم الهياكل بالصور غير المتقنة للعذراء والقديسين والشهداء، تلك الصور المشغولة بالكانافاه والمحلاة بالقصب والترتر والخرز والقطيفة وخرج النجف والساتان واللمبات الملونة لزوم التفاريح! ويدفع الناس بغير حساب ليشتروا نجفا ومصابيح، ودككا وقناديل، وقللا وأباريق!

ولست أدري كيف يعترض بعض المتأثرين بالاتجاهات الغربية على كنيستنا الذين يطالبون بتحويل هذه التبرعات الضخمة إلى إنشاء نواد ثقافية رياضية، ومراكز حرفية لتعليم أولادنا وبناتنا حرفا تقيهم شر الزمن .. إن هذه المخاوف المادية لا محل لها بين أبناء الملكوت!

والأعجب من ذلك، من يطلبون توسيع مكتبات الكنائس لتشمل كتبا عامة في التاريخ والاقتصاد والحضارة والعلوم وموسوعات بلغة الفرنجة .. عجبا! أيريدون أن تمتلئ عقول أولادنا بكل هذا والأولى بهم أن يدرسوا علوم كنيستهم المحبوبة!

وقد رأيت بعيني رأسي نجفة مهيبة في حجم فيل صغير، معلقة في إحدى الكنائس، وإذ بهرني منظرها تساءلت بخشوع: لا شك أنها قد تكلفت مبلغاً جسيماً، فأجابوني بثقة: ولا مليم واحد ، لقد جاءتنا تبرعا من أحد أبناء الكنيسة ... وحمدت الله! إذ أنها فعلا لم تكلفنا مليما واحداً!

وفي إحدى الأبرشيات استقبلوني يرددون هذا يوم تاريخي فقد انتهى اليوم العمل في نوافذ الكنيسة الجديدة من الزجاج المعشق ودعيت للمشاهدة، وعلمت أنها تكلفت مئات الألوف ولكن كالعادة لم تغرم الكنيسة ولا مليم!

وفي حي فقير جدا في القاهرة ذهلت إذ شاهدت حجاب الهيكل مصنوع كله من الخشب المطعم بالصدف، وهذه المرة لم أتساءل عن التكلفة، لأنها بدون شك هي أيضا ولا مليم!

ورغم أن الكنيسة على أعلى مستويات المسئولية تنشئ مشاريع ومراكز للتدريب وتنفق الكثير من أجل تحسين أحوال شعبها وشبابها، ورغم أن إنشاء المدارس لا يقل أهمية عن إنشاء الكنائس، ففي المدرسة يمكن أن نمارس دور الكنيسة الحي، إلا أن البعض يتغافل عن هذا الاتجاه ولا يهتم سوى بالأناقة! ورُب شاب شاهدته يناقش سيدة ثرية كانت تردد أن ديكور الكنيسة لا ينبغي أن يقل عن ديكورات منازلنا، فأجابها هل نزين بيوتنا وأولادنا جوعى؟!

والمؤكد أن كثيرين من الأقباط يرون أن مئات الألوف التي تنفق على البياض والتجديد والدهان والتنجيد، وتجليد الحوائط بالخشب المزخرف، كلها تنفق في محلها، فهذا هو بيت القصيد، ونحن لسنا أقل من باقي الكنائس، ولابد أن يكون مبنى كنيستنا في الصف الأول من حيث الفخامة والشياكة، وليقنا الله شر الحاسدين!

آه .. رحم الله البابا كيرلس الخامس الذي كان يضع لإنشاء المدارس أولوية على بناء الكنائس، ذلك الأب الذي كان معاصراً لرفاعة الطهطاوي رائد التعليم في مصر ... ولكن ماذا نقول؟ الله يرحمك يا طهطاوي!!

٢٧ـ القضية الطائفية

لا يمكن لأي دارسٍ موضوعي لواقعنا أن يغمض عينيه عن التوترات التي تحدث من حين لآخر، والتي يحزن لها كل مصري واع مخلص، مسيحياً كان أم مسلماً. وليس هذا هو مجال مناقشة ما حدث وجذوره، أو تحليل التشويه الذي مس الشخصية المصرية على مدى عقود من الغفلة أو التغافل، فقد كتب في هذا أساتذة كثيرون ينبغي أن نقرأ ما قدموه من تحاليل ودراسات، لكنني سأعرض فقط لما أراه دروساً للتاريخ، وما أزعم أنه الموقف الملائم تجاه هذه القضية الشائكة.

من المؤكد أن الأقباط قد تعرضوا في مناسبات متعددة لعدد من الضيقات منذ الفتح العربي، ولكن التاريخ يشهد:

أولا: أن هذه الضيقات كانت الاستثناء وليست القاعدة.

ثانيا: **أن هذه الضيقات لم تحتل إلا أزمنة قصيرة جدا** متفرقة عبر تاريخ طويل.

ثالثا: أن المقارنة بين ما بعد وما قبل الفتح العربي لمصر، يؤكد أن اضطهاد روما للمصريين كان سياسة ثابتة، **وأن الأهوال التي تعرض لها الأقباط تحت حكم الرومان المسيحيين، لا يمكن أن تقارن بفترة الحكم الإسلامي** منذ الفتح العربي، وحتى أصبح القبطي مواطناً كامل المواطنة في عهد العاهل العظيم إسماعيل باشا.

رابعا: **أن ما جرى في فترات متفرقة، كانت أسبابه سياسية في أغلب الأحيان** ونستطيع أن نقول أنه في كل الأحوال تقريباً التي وصل فيها الأمر إلى طلب فتوى شيوخ الإسلام كان هؤلاء منصفين، وجهدوا لحماية الأقباط، على أساس أن أرواحهم وأموالهم "معصومة".

خامسا: من الثابت تاريخياً **أن الأقباط عاشوا في أمان، طالما كان الحكم قوياً مستقراً،** ووجدوا في الحكومات المتعاقبة السند والحماية من كل حاقد أو مغرض، **ولم يتعرضوا للأذى إلا في فترات تراخت فيها يد الدولة**[٢٢]، أو تصارعت قوى متعددة على السلطة.

سادسا: أنه في المرات النادرة التي تحدى فيها الأقباط السلطة، أو تورطوا في صراعات سياسية، أو حاولوا مواجهة العنف بالعنف، كانت العاقبة في كل مرة وبالاً عليهم. **إن المسيح أرادنا أن نكون نوراً للعالم وليس حكاماً للعالم.**

---

[٢٢] عدا فترة سنتين من عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي

سابعا: أن بعض الأزمات نشب لأسباب خارجية، وفي المرات النادرة التي تصور فيها بعض الأقباط أن الأجنبي يمكن أن يكون سنداً لهم، **ثبت أن الأجنبي لا يهمه إلا مصلحته، وأن نتيجة هذا التفكير الضال كانت شراً مستطيراً.**

ثامنا: أنه عندما أثار بعض المتعصبين الفتن بحجة أن الأقباط عون للأجنبي، تأكد للجميع بما لا يدع مجالاً للشك، **أن تمسك الأقباط بوطنهم لا تهزه أية محنة طارئة.**

تاسعا: أن في بعض المرات كان محرك الفتنة، هو تباهي بعض الأقباط بالثروة أو النفوذ، ويذكر أن كل الفتن حدثت في أوقات مرت فيها البلاد بضائقة اقتصادية[٢٣] .

موقف مبدأي:

١- نحن نحب ولا نكره لأن الله محبة.
٢- نحن لا نخاف لأن الله معنا.
٣- نحن نملك من مصادر القوة والحكمة مناجم غنية ما لم نمسه إلا قليلا.
٤- نحن نريد التقدم والرخاء للكل وليس للبعض فقط.

دروس الجغرافيا والتاريخ :

١- مصر قوية طالما كانت وحدتها الوطنية قوية.
٢- مصر ثرية طالما كانت علاقتها طيبة ومؤثرة في مجالها الحيوي (العالم ككل والمنطقة العربية والأفريقية بشكل خاص).
٣- مصر إما أن تلعب دوراً أو أن تكون ألعوبةً في يد أحد، فمصر بحكم موقعها ووزنها التاريخي والبشري هي أهم من أن تترك لشأنها.

ماذا نفعل اذن؟

❖ أن نعيش عصرنا: بالعلم، وبالديمقراطية.
❖ بالمنهج العلمي ومعطيات التحديث.
❖ بتعميد وسائل الإعلام والإتصال: نتابع ما ينشر، وننشر مواقفنا بوضوح.

١- أن نتلاحم مع المجتمع: بنشر تراثنا وبالالتزام بقضايا المجتمع.

- **أن تتضمن برامجنا خط الإنتماء واضحاً.**

---

[٢٣] باستثناء واحد هو ماحدث عام ١٣٢١ م في أيام الناصر محمد بن قلاوون

- **أن نعطي أهميةً خاصةً للتنمية الاقتصادية.**
- **أن نعد نماذج لمشروعات خدمة البيئة.**
- **أن نستمر في تعريب تراثنا.**

٢- أن نقدم النموذج الناجح: في العطاء - في الإدارة - في المعرفة - في التعليم - في الفكر المستنير .

- أن تكون خدماتنا مثالاً راقياً للنظام والإخلاص.
- أن يكون فكرنا تقدمياً إنسانياً.
- أن نقتحم مجالات المعرفة التي تحتاجها البيئة والمجتمع.

٣- أن نملك بعد النظر الذي للحكماء:

- أن ندرك أن المطالب الطائفية غير المقبولة تعمق الانقسام ولا تلغيه.
- أن نتعامل بافراز مع العلاقات الخارجية.
- أن ندعم العلاقات المسكونية داخل الوطن .
- أن لا نسلك ككتلة منعزلة بل كنسيج أصيل في منظومة الوطن.

٢٨ـ التراث والمستقبل

من العسير على المصري أن يتخلص من الأشياء القديمة، وكل بيت مصري يزخر بأشياء لا تستعمل، ولكن أصحاب البيت لا تطاوعهم قلوبهم على التخلص منها. وهذا الاتجاه نحو تعهد كل ما هو قديم ، بغض النظر عن قيمته ، اتجاه راسخ في النفسية المصرية. ولكن هذا الاتجاه يأخذ بعداً خطيراً حين يتجمد التفكير لدرجة رفض أية فكرة لمجرد أنها جديدة ، ويكفي أن كل من يتقدم برأي أصيل وليس تكراراً لما هو شائع، يواجه بأن رأيه غير أرثوذكسي!

وأذكر حين اعترض أحدهم على كلام كنت أقوله في أحد اللقاءات، بأن هذا الكلام غير أرثوذكسي! لولا أنني أكدت له أن هذا الكلام منقول حرفياً عن عظات القديس أثناسيوس الرسولي، إلا أنه جديد على مسامعه.

يطالب الشباب دائماً بالتغيير، ويواجه دائما بالرفض، على أساس أن في التجديد هدم للتراث المسلم لنا، من الشهداء والقديسين، والشاهد المستخدم هو ما ورد على لسان موسى النبي "لا تنقل التخم القديم الذي وضعه آباؤك" (تث ١٩: ١٤).[٢٤]

إن القيمة الحقيقية للتراث في أنه حي، بمعني أنه يتمثل بفاعلية في حياتنا اليوم، ويقدم حلولاً لمشاكل نعاني منها اليوم وامراضاً تسقمنا اليوم. وإن لم يفعل التراث هذا، يكون تراثاً ميتاً مكانه فقط في بطون الكتب وعلى رفوف المكتبات. إن السمة الأساسية للتراث الكنسي أنه حي فعال، وأفضل مثال هو الأسرار المقدسة.

إن هناك أشياء تحتاج منا إلى مراجعة، ولا يعيب تراثنا أبداً مراجعته وتنقيته مما تسرب إليه في بعض الأزمنة، وقد تنبهت الكنيسة إلى ذلك أول ما تنبهت[٢٥]. إن تمسكنا بالتراث أمر أساسي لتحديد هويتنا الدينية واتجاهاتنا العقائدية والروحية.

ولكن خلطاً يحدث أحياناً بين تراث الكنيسة في العقائد والعبادات، وبين أساليب الخدمة، فينظر الناس إلى اسلوب معين على أنه تراث لا يمكن تغييره .. وهناك فرق كبير، **فإن كان**

---

[٢٤] التخوم هي علامات تقسيم الأراضي، وقد كان تجاوز حدود التقسيم الذي وضعه الشيوخ بغرض اغتصاب أرض الآخرين خطيئة كبرى – أي ٢٤ : ٢ ، أم ٢٣ :١٠ ، هو ٥: ١ .

[٢٥] أصدر قداسة البابا شنودة الثالث في أوائل عهده قرارًا بتشكيل لجنة بمراجعة السنكسار وأخرى لتنقيح المدائح لكن التغيير كان في أضيق الحدود .

تراث الكنيسة أمر واجب الحرص عليه، ليس لمجرد لقدمه بل لفاعليته وحيويته، فليس كل قديم بتراث. إن أساليب الخدمة التقليدية ليست تراثاً مقدساً، بل على العكس أساليب الخدمة يجب تغييرها من حقبة إلى أخرى.

إن الناس يتغيرون في احتياجاتهم، وفي إيقاع حياتهم، وما يصلح قديماً، قد لا يصلح الآن (جا ٧: ١٠)، والخادم الدؤوب لا يكتفي أبداً، حتى وإن كانت خدمته ناجحة، بل يسأل نفسه ومن معه دائماً، كيف يمكن أن تكون الخدمة أكثر نجاحاً.

إن السعي المخلص نحو التغيير إلى الأفضل، بإضافة الجديد والأكثر فعالية هو السبيل الوحيد كي نسبق الزمن، فيرى الشباب في الخدمة تحقيق كيانهم في المسيح وبناء نفوسهم ليحيوا العصر ويستوعبونه بل ويغيرونه بالمسيح الساكن فيهم، وهذا هو البديل عن الجري وراء المتغيرات، وقبل أن ندركها إذا بها تتغير مرة أخرى.

إن الخدمة المسيحية لابد أن تكون لها النظرة المستقبلية، فنحن لا نربي أولادنا وبناتنا ليعيشوا عالم اليوم، بل عالم الغد، إن برنامجاً للتربية الكنسية يوضع الآن يجب أن يأخذ في اعتباره ليس ما هو كائن، بل ما يتوقع أن يكون عليه العالم.

نخلص من هذا إلى أمرين يكمل كل منهما الآخر:

١- إن دراستنا للتراث أمر ضروري مع تنقيته مما يتسرب إليه من شوائب.

٢- أن تغيير أساليب الخدمة وبرامجها ضروري لأعداد الأجيال لفكر المستقبل.

إننا نحتاج إلى إعادة صياغة فكر التراث في مفردات من لغة الغد. أما رفض أي تغيير لمجرد الرفض فهو جمود لن يؤدي إلا إلى سد القنوات بين الآباء والأبناء. إن الجمع بين الأصالة والتجديد لهو دليل الوفاء للقديم عرفاناً بقيمته، مع تأكيد الاتجاه نحو الأفضل، فالكنيسة حية على الدوام، والتقليد كائن حي متحرك.

٢٩ـ أسلوب التعليم المؤثـر

يسود شعور من الإحباط لدى كثير من الخدام حين يرون أن من يتلقون تعليمهم لا يبدو عليهم تغيير حقيقي في سلوكهم، ويكاد البعض يشعرون أنهم في وادٍ والشباب في واد آخر. ما السبب؟! هل ما نقوله خطأ؟ وكيف يكون خطأً وهو كلام عن الفضائل والدين والكنيسة، أذن لابد وأن العيب هو في فهمنا ثم في تقديمنا لهذا الكلام، بمعنى أن المشكلة تنقسم إلى: الفكر الذي ننادي به، التطبيق الذي ندعو إليه، والأسلوب الذي نعلم به. وسنركز كلامنا هنا على النقطة الأخيرة.

الهدف من التعليم المسيحي هو تغيير الحياة، والحياة تتغير عندما يقتنع الإنسان بفكرة، ثم يتحمس لهذه الفكرة، ثم يسلك حسب الفكرة. بهذا يعدل الإنسان إتجاهاته طبقا لقناعاته.

كيف يمكن أن يؤدي التعليم إلى تغيير الحياة؟

١- تصحيح الفكر:

مثال: شاب يعتقد أنه ارتكب خطايا كثيرة لا يمكن أن يغفرها له الله. يحتاج إلى توضيح وإقناع بأن الله يغفر بلا حدود ويعطي بداية جديدة في كل مرة، مهما تعدد السقوط.

٢- شحن أو إثارة العاطفة:

مثال: شاب يرغب في التوبة ولكنه حاول مراراً وفشل، لذا فقد الأمل في أن يتوب يوما. هذا يحتاج إلى من يساعده ليرى باب الرجاء مفتوحاً ويثق في عمل الله معه.

٣- تحريك الإرادة "الاستجابة للتعليم":

مثال: فتاة تورطت في علاقة سيئة، وترغب بشدة في الحياة النقية، ولكنها لا تعلم ماذا تفعل، ولا تعلم كيف ستغير فكرة الناس عنها. تحتاج إلى شجاعة تمكنها من تخطي الموقف إلى التفكير فيما يجب عمله، وكيف تغلق أبواب الخطأ.

وتعالوا نلقي نظرة سريعة أولاً على مستويات التعلم:

مستوى الصّم :

الصّم هو أن يحفظ الإنسان عن ظهر قلب دون أن يفهم ما حفظه، وهو أمر ليس مقصوراً على الأطفال كما يظن الناس، فكم من مقولات نرددها دون فهم، وإذا سؤلنا قلنا لمن يسألنا: هذه الأمور تؤخذ بالإيمان! يمكن لكثيرين من الشباب أن يرددوا "نحن مختونون بالدم" دون

أن يفقهوا معناها، وبعض الذين حفظوا الطقس الكنسي ومارسوه لسنين يبتعدون عن الكنيسة بل وأحياناً عن الإيمان. ويدخل في هذا المجال بعض المصطلحات الشائعة في التعليم الكنسي، مثل "الحياة الروحية". الشائع أن الحياة الروحية هي الصلاة والصوم والاعتراف والتناول وقراءة الكتاب المقدس، ولكن هل كل من يفعل هذا تكون له بالضرورة حياة روحية نشطة؟ .. بالقطع لا!! فربما كان يمارسها ممارسة شكلية مظهرية، فما هي الحياة الروحية أذن؟ .. فكروا معي! في كتاب "المناظرات" نقرأ حواراً بين يوحنا كاسيان والقديس الأنبا موسى نخلص منه إلى أن الحياة الروحية هي السعي والجهاد الدائم نحو نقاوة القلب بمعنى أن يكون ذهني خالياً من الخوف والحسد والكبرياء والشهوة والإدانة، وأن تكون مشاعري نقية من الكراهية والقلق والدونية. **ومن البديهي أن التعليم على مستوى الصمّ لا يمكن أن يؤدي إلى تغيير الحياة.**

مستوى الفـــــهم:

سوف نقدم المعلومة إذن ونشرح معناها، بل ولكي نتأكد أن المعلومة قد فُهمت كما ينبغي سوف نسأل المخدومين بل ونمتحنهم فيما تعلموه، وهذا هو مستوى العمل في فصول إعداد الخدام، وسوف نجعل الامتحان ذكياً للتأكد من الفهم، سنسأل الشاب عن معنى "الختان بالدم" ونقدم له عدة إجابات ليختار منها، أحدها صحيحة وباقي الإجابات ليست بعيدة جداً عن الصواب، مثل:

أ) الختان شريعة أساسية في الكتاب المقدس. ب) غير المختونين لا يخلصون.

ج) بدون سفك دم لا تحدث مغفرة. د) دم المسيح هو علامة العهد الجديد.

ثم نطلب من المخدوم أن يختار أفضل الإجابات. وهذا المستوى هو ما نراه حين يقف الخادم ليسأل الأولاد والبنات فيما سمعوه في الدرس. ولا شك أن هذا المستوى أفضل بكثير جداً من الحفظ أو الترديد دون فهم، وفيه إحترام لعقول الناس ولمشاعرهم، ولكن هل يكفي أن يتعرف الناس على المعلومات الكنسية والروحية والكتابية ... هل يكفي هذا لتغيير الحياة؟!

البعض يقولون أن مهمة الخادم هي مجرد توصيل الكلمة **"وكلمة الرب لا ترد فارغة - أش ٥٥: ١١"**، ولكن من يقرأ النص كاملا يرى بوضوح أن المقصود هو الكلمة المتجسد ربنا يسوع المسيح، **ولو كان مجرد سماع الإنجيل كافٍ لتغيير حياة الناس لكان كل من سمعوا رب**

المجد آمنوا به، والواقع أن الأكثرية رفضت أن تستجيب لتعليم الرب لسبب أو لآخر. لقد صنع الرب آيات عديدة أمام الآلاف وعلم عشرات الألوف، وأخيراً حين حل الروح القدس كان كل المجتمعين في العلية ١٢٠ نفساً.

مستوى الـــربط:

يتميز التعليم الديني الأرثوذكسي بأنه يضم عدة دوائر: عقائد - طقوس - تاريخ كنسي - كتاب مقدس .. وهكذا. وهذه الدوائر مرتبطة معاً أرتباطاً وثيقاً. فالطقس مثلاً له أساس لاهوتي عقيدي، وله فاعلية روحية، وله شواهده من الكتاب المقدس، وله أيضاً تاريخه. ولنأخذ مثالاً بطقس البخور الذي يدرس في الكنيسة، فالبخور إشارة إلى عمل المسيح في خدمة الناس، فكما يحترق البخور ليعطي رائحةً زكية هكذا فعل حين كرز وتألم ليعطي بركات عظيمة للبشرية، والرائحة الطيبة تنقلنا نحن المصلين إلى أن نفكر في السماويات حيث صلوات القديسين المقبولة أمام الله، وتدعونا أن نعمل أعمالاً صالحة تصعد أمام الرب كرائحة بخور، وفي العهد القديم كان البخور يقدم كل صباح ومساء، لذا يردد الأب الكاهن في دورة البخور كذا .. ويصلي قبل الخروج للتبخير كذا. **أن هذا المستوى من التعليم يعطي أبعاداً جديدة للمعلومة، ويزيد من قيمتها، ويؤكد للمتلقي أن ما يتعلمه ليس شظايا متناثرة، بل أجزاء من منظومة متكاملة هدفها فرحه وانتصاره. ولكن هذا المستوى أيضاً لا يغير حياة الناس، فحتى هنا نحن نتحدث إلى الناس باللغة الدينية التي يرى الناس أنها منفصلة عن حياتهم**، ويتحدث الناس عن الخدام على أنهم "بتوع الكنيسة" وعلى أن ما يقال داخل الكنيسة أمر لا يمكن الالتزام به في الحياة اليومية.

مستوى الــوعي :

لا يكفي إذن تقديم الحقائق أو التعرف عليها وشرحها، ولا إستيعاب مكانها في النسق العقائدي والروحي للكنيسة، **فلا بديل عن ربط المعلومة بالحياة اليومية للناس، ولا بديل عن دخول التعليم إلى عمق هموم الناس ومشاكلهم، وما يدور حولهم في الدنيا.**

لقد التقى السيد المسيح مع المرأة الخاطئة في بيت سمعان الفريسي. من كانت هذه المرأة ولماذا غضب الفريسي، وهل كان محقاً في غضبه، ماذا كان تقييم الحاضرين للمرأة، وماذا كان تقييم السيد المسيح لها؟ هل توجد أمور أخرى تتعارض فيها وجهة نظر المسيح مع موقف المجتمع؟ مثل الموقف من المال؟ والموقف من الزواج؟ والموقف من التسامح؟

وهنا ينتقل المخدوم إلى صياغة حقائق الإيمان بألفاظ الحياة اليومية، وتصبح المرأة الخاطئة هي كل منبوذ يحتاج إلى القبول، ويصبح الموقف السليم هو النظر إلى جوهر الناس وليس إلى مظهرهم أو إلى ما يشاع عنهم. أنظر شاباً سُمع عنه أنه على علاقة بفتاة غير مسيحية، أنظر أسرة ترك أحد أفرادها الإيمان، أنظر طفلاً يشكو منه كل الخدام، أوَ شاباً يؤكد كل المسئولين عن الخدمة أنه مشاغب متمرد!

إن تقديم التعليم بشكل مرتبط بالحياة اليومية وهمومها يشكل خطوة هامة نحو تفاعل المخدوم مع الكلمة. ولكن حتى هذا المستوى لا يغير الحياة، لأنه في أقصى حد لا يصل بالشاب إلا إلى إبداء آراء عامة عن أحوال المجتمع والناس، ولكنه نادراً ما يعكس ما تعلمه على نفسه!!

مستوى الاختبـــار:

كل مخدوم يؤمن بكلام المسيح، كل الناس سمعوا وحفظوا آيات كثيرة، كل الناس يعلمون تماما أن المسيح يطلب منا أن نكون نوراً للعالم وملحاً للأرض، إسالهم كيف سيفعلون هذا، تسمع إجابات عامة عن القدوة الصالحة وصورة المسيح وأرشاد الناس، **ولكني أسألك أنت : ما هو عملك؟ ما هي دراستك؟ أين تسكن؟ كم عمرك؟ ما هي مواهبك؟ وماذا ستفعل لتكون نوراً للعالم؟** وصدقوني سيفكر أغلب الناس قبل الإجابة! **وإياك ياعزيزي الخادم أن تقترح له إجابة، فالإجابة ينبغي أن تكون شخصيةً،** فالشاب يعلم امكانياته، وهو الذي سيحاول أن يلتزم بما يقول. **إن الخادم الفاهم لا يحدث الناس عما هو مفروض أن يكون، بل عن الحاصل فعلاً وكيف يمكن تغييره إلى الأفضل.** اسالوا الناس عن مواصفات الأسرة المسيحية، ثم اسالوهم هل هذا هو الموجود فعلاً؟ وماذا أستطيع أن أفعل في بيتي؟

أنظروا السيد المسيح وهو يتحدث مع المريض في بركة بيت حسدا ويسأله أتريد أن تبرأ؟ وبعد أن ندرس النص نوجه السؤال إلى الشباب كلٌ يفكر فيه: لو سألك السيد المسيح: أتريد أن تبرأ؟ ترى إلى أي شيء يشير المسيح؟ إلى كبريائي، إلى خصوماتي، إلى خطيتي المحبوبة؟ .. إلى ماذا؟ **هنا ينظر المخدوم إلى حياته ليقيسها على معيار الوصية المسيحية،** ويبدأ ذهنه في العمل ومشاعره في التحرك، **ماذا ينبغي أن أكون وماذا يجب أن أفعل ..**

وبقي أن نؤكد على الآتي:

١- التركيز على المعنى بدلا من التركيز على المعلومة:

والخادم الحاذق هو الذي يعطي المعلومة بدقة وإيجازٍ ليقود المخدوم إلى المحتوى.

٢- إيجابية المخدوم بدلا من سلبية المخدوم:

يشارك المخدوم في إستكشاف المعنى فهذا هو مدخل التفاعل مع الموضوع.

٣- الخادم كموجه بدلاً من الخادم كواعظ مصدر للأوامر:

فلا ينبغي أن يقوم الخادم بالعمل كله (يشرح، يجيب على الأسئلة، يقدم وسيلة الإيضاح، يقود الصلاة، يقود الترتيل، ...)، بل يسعى إلى بلورة ما يطرحه الناس، وكشف الثغرات، بل ويعيد الأسئلة إلى المجموعة ويساعدها على الإجابة في حوار حقيقي حُر وليس زائفاً، فلا يدفع المجموعة دفعاً إلى الاستنتاج الذي حدده مسبقاً. **إن التعليم الفعال هو الذي يركز بيقظة وفعالية على كل الأنشطة والممارسات التي ترفع مستوى استجابة المخدومين.** ويبقى أن يتدرب الخدام على كيفية تطبيق هذا الأسلوب بشكل مستمر كما سنتناول لاحقاً.

المتكلمون

+ أريد أن أعرف من أين تأتون لنا بالمتكلمين في الاجتماع، وعلى أي أساس يتحدد أن هذا متكلم للشباب وذاك غير متكلم؟

- أغلبهم خدام ذوي خبرة، وبعضهم دارسون متخصصون في موضوعات هامة لنا، وبعضهم ..

+ اسمح لى قبل أن تسترسل ، فأغلبهم لا يعجبوني ..

- مثل من؟

+ مثل متكلم يتحدث كأنه في غيبوبة صوفية، ويعطي كلاما عائما: نشبع بالمسيح .. نهب ذواتنا للرب .. نسكب قلوبنا لا أدري أين .. دون أن يوضح كيف نشبع أو نهب أو نسكب ..

- ....

+ وآخر يتحدث كواعظ من فوق منبر مرتفع، فالشباب دائما مخطئ، ودائما مقصر، ودائما عبر واع .. وجيل "اليومين دول" لا يساوي شيئا مقارنة بجيل حضرة المتكلم!!

- ....

+ وثالث وصل لتوه من كوكب آخر يتحدث دائمًا عن المفروض !! .. المفروض أن ملكوت السموات أهم من المشاكل اليومية، والمفروض أن الروح أهم من الجسد، وبما أن الحياة الأبدية لا نهائية والحياة الأرضية محدودة، إذن المفروض أن كل الناس بالضرورة قديسون أو ساعون في القداسة!!

- ....

+ ورابع ما زال يعيش في العصر الحجري ويحدثنا كأننا نحيا في كهف منعزل عن العالم وأفكاره وتياراته ومؤثراته، أما التليفزيون والفيديو والصحف والإذاعات فكلها دنس من عمل الشيطان!!

- ....

+ ولكن أكثر ما يغيظني هو ذلك المتكلم الذي لم يتعود على النظر في ساعته، وتمتد الكلمة وتمتد .. وبالطبع لا فرصة للمناقشة أو لا قدرة على المناقشة .. فكيف يناقش النائمون؟!

- ....

+ ثم ذلك الذي يحضر ليصب المعلومات صبا .. لا أدري أيستعرض معلوماته، أم يكرّر ما حفظه قبل أن ينساه ؟!

- ....

+ وآخر لا يفوقه أحد في خفة دمه وطرافة نكاته، وأنني لأذكر عظة حضرتها له فلم أتوقف خلالها عن الضحك، ولا أذكر موضوع العظة، ولكنني أذكر جيدا النكات التي ارتج لها المكان بالضحكات ..

- ....

+ ومتكلم يمتاز بكسر إيقاع الكلام كل فترة ليشرك الناس معه، فهو يقول نصف الآية ويترك السامعين ليكملوها، وترتفع الإثارة عندما يقول - مثلا -: لا تدينوا لكي .. لكي .. وإذ لا يجيبه أحد، يصرخ بصوت عظيم: لكي يا أخوانًا .. لكي يا أسيادنا .. ، وأخيرا يجيبه أحدهم: لكي لا تدانوا! حوار ممتع كما ترى! وإن كنت لا أدري لماذا يجيبه نفس الشخص في كل مرة!

- ....

+ وهناك من يتولى نيابة عن الروح القدس، تأنيب المصلين: كم ساعة تقضونها أمام التليفزيون وكم ساعة في الصلاة؟ كم ساعة تنامون وكم ساعة تقرأون الإنجيل؟ ويستمر على هذا المنوال، مع التنويه من حين لآخر بالمصير المنتظر في البحيرة إياها! وهكذا حتى تتحرك ضمائر الناس ويقررون تغيير حياتهم فوراً، حتى أن بعض الشباب لا ينتظر إلى نهاية الكلمة، بل يخرج مسرعاً .. طبعا ليبدأ حياة التوبة والرجوع!

- ....

+ وكله كوم والتأملات كوم آخر، يقف أمامنا شخص حالم يتحدث عن الشجر والطبيعة والجبال والسمك ... وقال إيه تأملات روحية!! وكأننا في حصة إنشاء نسمع كلاما شعريا لا يمس فكر المتكلم أو السامع، وكأن السيد المسيح لم يتجسد بعد، أو أنه تجسد من هواء وأثير وليس من لحم ودم ..

- ....

+ لقد أفرغت ما عندي، فماذا تقول؟

- وماذا يمكن أن أقول، بعد كل ما قيل من قول!

٣٠ـ الأساس اللاهوتي للأنشطة

هدف الخدمة هو هدف المسيح، هو بناء الإنسان بحسب مقاصد الله. لذا كل ما نفعله في الخدمة يستند إلى أساس من التعليم الإلهي لنا، فالقداس مبني على عمل المسيح وخدمته حتى الصعود وحلول الروح القدس، و الصلاة دائماً باسم ربنا يسوع المسيح الذي أعاد الشركة بين الله والإنسان، فلا صلاة ولا صلة إلا من خلال الكلمة المتجسد .. وهكذا، **ولكن ما هو الأساس اللاهوتي للنشاط؟!**

يقول ربنا يسوع المسيح له المجد أنه يريد أن يصير الكل إلى واحدٍ فيه، واحداً مع الله وواحداً مع الآخرين (يو ١٧)، ولكن كيف يمكن أن يصير الكل إلى واحد؟ هذا تشرحه رسالة أفسس، أن المواهب المتنوعة التي تعطي للمؤمنين تتكامل معاً كما تتكامل أعضاء الجسد الواحد، بحيث يتناغم أعضاء الكنيسة إلى ملء قامة المسيح و جسده الذي هو الكنيسة، وهنا يأتي دور النشاط.

إن لكل عضو موهبة مختلفة، شيء ما أعطاه الرب السخي أن يتقنه ويتفوق فيه، ولكن ليس لحساب نفسه، بل لحساب الجسد كله (الكنيسة والمجتمع)، فإذا رغب عضو في الانفصال بموهبته يكون مثل العضو الذي ينخلع من الجسد، **يفقد الجسد عضواً ثميناً، ويموت العضو الذي انفصل ويفقد موهبته،** لقد بارك الله ابراهيم (تك ١٢) لكي يكون بركةً للآخرين، **هذه الوزنة أعطيت مجاناً، ولكن بشرط أن تستثمر لحساب الجسد. إن الخطأ الذي ارتكبه الرجل الذي أخذ وزنةً واحدةً أنه انعزل بوزنته، بينما لا تنمو الموهبة إلا إذا استخدمت لصالح الناس وإلا ضاعت، فالذي له يعطى ويزداد والذي ليس له فالذي عنده يؤخذ منه. إذن من صميم عمل الخدمة أن تساعد كل شخص على إكتشاف موهبته، وعلى تنمية هذه الموهبة في مجال محبة وخدمة الآخرين بالعمل والحق وليس بالكلام واللسان.**

هذا هو معنى الوصية **"تحب قريبك كنفسك"**، أي تحب الآخرين كما تحب نفسك **ينبغي أن تحب نفسك أولاً.** ولكن كيف؟ وكل تعليم المسيح يدعو إلى إنكار الذات؟ إن الحب هنا ليس حب الأنانية المنغلق، بل تحب نفسك بمعنى أن: **تقبلها، تفهمها ، تعرف عيوبها وتقومها بفعل الروح القدس .. تدرك وزناتها وتنميها في محبة القريب،** والقريب هنا يشمل كل الناس بلا استثناء (لو ١٠). **هذا هو دور الأنشطة، إذن من جوهر عمل الخدمة أن تساعد وأن**

تتيح الفرصة لكل واحد أن يقبل نفسه، يكتشفها وينمي وزناتها في إتجاه تقديم الحب للآخر، فهذا هو طريق الخلاص.

هدف السيد المسيح إذن هو أن يصير الكل إلى واحد، جسد واحد من أعضاءٍ متنوعة. فلا يوجد حدٌّ لأشكال النشاط، ولا حصرٌ لعدد المواهب، **فعلى قدر عدد الخدام والمخدومين توجد مواهب وأفكار جديدة،** وكلها ينبغي أن تتاح لها الفرصة للنمو في إطار الجماعة، فهذا يؤكد الشركة بين أناس لكل منهم كيانه المستقل، فقبل كل شيء هو عضو في الجسد يقوم بدور فريد لا يقدر غيره أن يقوم به، وليست هذه دعوة للتعالي، بل إن هذا العضو ذو الدور الفريد لا يتقن سوى دوره ولا يملك أن يؤدي أدوار الآخرين!! **لهذا لابد أن يكون هدف النشاط واضحاً ...**

مــاذا نفعـــل ؟

أيا كان شكل النشاط، المهم أن يكون هدف النشاط هو **أن يكتشف وينمي وزنة ويعمق الشركة بين الناس. إن المسابقة لا تكون روحية لمجرد أنها في الإنجيل، بل عندما تدفع الناس إلى التفكير، وإلى أن يفهموا ذواتهم، وإلى أن يتعرفوا ويتآلفوا مع الآخرين،.. هذه هي المسابقة أو اللعبة أو السمر الروحي.** والرحلة لا تكون روحية لمجرد أنها زيارة للأديرة، بل متى سادتها روح الود والتعاون، قد يقول البعض ولكن كل الرحلات تتم هكذا! لنكن صادقين مع أنفسنا، وأن أعترف أن عنادي قد يجعلني أفسد جو الرحلة متصوراً أنني أُحافظ على روحانيتها!

من يفعـــل النشـــاط؟

ما دام الهدف قد أتضح فلابد لتحقيقه من خلال النشاط أن يشترك فيه الكل، الكل يفكر والكل يعمل والكل يساهم بدءاً من التخطيط وحتى التنفيذ والتقييم، فالكل يجب أن يكون عضواً في الجسد، الكل يحتاج إلى أن يفهم نفسه وغيره بشكل أفضل، وأن يخدم الناس بشكل أفضل.

وإذ يشترك الكل، تتعدد الأفكار و تتنوع أشكال النشاط:

+ شباب ثانوي يجمعون بقايا ورش النجارة ليصنعوا لعباً بسيطة لأطفال الحضانة.

+ الشابات يتصلن بمستشفي مجاور ويخطرن أبانا بمن يحتاجه من المرضى.

+ شباب يتناوب قراءة الصحف وينشئ أرشيفاً للأخبار والمقالات التي تهم الشباب

+ فتيان إعدادي ينظمون يوما رياضيا للكبار من إعداد الطعام إلى إدارة المسابقات.
+ ليلة سبت لعازر نجتمع في الكنيسة ونقدم عرضا لأسبوع الآلام ثم نتعلم جدل السعف ونصلي ثم ننصرف بعد مشروب خفيف، وسنكرر ذلك مساء السجدة.

ويصبح لدينا معينا لا ينضب من الأفكار (البحث - الرسم - الموسيقى - الكورال - خدمة المرضى - الفقراء - المسنين - المغتربين - وسائل الإيضاح - تصنيع اللعب - أيام روحية - أيام رياضية - أمسيات للتسبحة - زيارات ثقافية - مسابقات متنوعة في الكتاب المقدس وفي المعلومات العامة وفي المعلومات الكنسية - مجلات حائط - مجلات صوتية - مجلات مطبوعة - أيام للأسر -...) وكلما أزداد التنوع، زادت الفرصة ليكتشف كلٌ وزنته وينميها، فقط لنتذكر:

١- أن الأنشطة من صميم الخدمة الروحية وليست أضافة زائدة عليها.

٢- أن القيادة الفردية المتسلطة هي أقصر سبيل لهدم أي نشاط أو إضاعة هدفه.

٣- أن النشاط يتم تصميمه بعد تحديد هدفه أولاً.

٤- أن ممارسة النشاط هي الهدف الأول وليس الإنجاز المتوقع منه.

فنحن لا نفعل النشاط لمجرد أن نفعل شيئاً والسلام، أو لأن كل الكنائس تعمل أنشطة، بل أن لنا هدفاً لكل نشاط، نحدده أولاً ثم نفكر معا ما هو الأسلوب الشيق المبتكر الذي نصل به إلى هذا الهدف .. ومن نشاط إلى نشاط نقترب من الهدف الأسمى ..

"أن يصير الكل إلى واحـــد"

نخسر كثيراً إذا لم نقيم خدمات ونشاطات الكنيسة، وفيما يلي نورد نموذجاً لتقييم أنشطة اليوم الواحد مثل: رحلة - يوم روحي - يوم رياضي وأثق أن شبابنا كفيل بابتكار الأفضل:

كنيسة مارمينا العجائبي بفم الخليج

نموذج تسجيل وتقييم نشاط

حفلة / رحلة / يوم روحى

التاريخ ______ المناسبة ______

الكنائس المشتركة ______

توقيت البداية	عدد الحاضرين	فى البداية	عند الختام	ضع أمام كل فقرة مستوي ممتاز/جيد/متوسط/ضعيف
	شبان	____	____	
	شابات	____	____	

القسم	البيانات	التقييم	المستوى
الألحان والترانيم	القيادة ____ ١- ____ ٣- ____ ٢- ____ ٤- ____	الأختيار	
		القيادة	
		المشاركة	
المواصلات	المسئول ____ الوسيلة ____	الوسيلة	
		الالتزام بالمواعيد	
البرنامج أثناء الانتقال	التقديم ____ المادة ____	المادة	
		التقديم	
		المشاركة	
الموضوع ____ المتكلمون ____	قادة مجموعات العمل / العدد: ١- ____ ٢- ____ ٣- ____ ٤- ____ ٥- ____	اختيار الموضوع	
		أسلوب المتكلم	
		ديناميكية القادة	
		ديمقراطية القادة	
		جدية الحوار	
		المشاركة	
السمر	التقديم ____ المساعدون ____	اسلوب التقديم	
		مادة البرنامج	
		المشاركة	
الأغابى	الإعداد ____ النوعية ____	النوعية	
		أسلوب التقديم	

الميزانية المسئول ____

الميزانية التقديرية ____ المنصرف ____

اشتراك الفرد ____ الدعم للفرد ____

التقييم العام	
التعارف	
ضبط التوقيت	
اختيار المكان	
قيادة اليوم	

توقيت الختام ____ قام بالتقييم ____

ترفق صورة من البرنامج واسماء الحاضرين

استخدم ظهر الورقة لكتابة أية ملاحظات

٣١ـ التعليم و التربية في الكنيسة في القرن ٢١

التربية هي بناء الإنسان بمعنى **غرس الاتجاهات السليمة** في جيل بأكمله يدرج إلى الكنيسة، **والمقصود بالاتجاه هو فكرة يقتنع بها الإنسان أولاً ثم يتحمس لها ثانياً، ثم يسلك على هداها أخيراً**، وليست التربية بمنطق المدارس حين جعلت التعليم قاصراً على معلومات تصب صباً في عقول الشباب فلا تتعدى ذاكرتهم ولأمد محدود، معلومات يستذكرها الشاب غصباً وما أن ينتهي الامتحان حتى تذهب إلى النسيان دون أن تمس فكره أو مشاعره بسوء سوى أن تغرس فيه كراهية التعليم!

إنما **التربية بمعنى تفجير الطاقات التي وضعها الله في الإنسان**، حين خلقه على صورته ومثاله فميزه **بالفكر الحر والإرادة المستقلة والخيال الطليق**، فتأتي مدارسنا لتقيد فكره وتفكك إرادته وتشل مخيلته، فتلغي من الشاب كل ما ميزه الله به ولا يبقى له إلا أن يحيا كالسائمة، يعيش ليأكل ويكسب لينفق وينظر إلى موطيء قدميه فحسب، والكل شعاره أنا ومن بعدي الطوفان. **التربية السليمة هي التي تنير الطريق أمام الفرد ليكتشف وزناته الثمينة التي وهبها له الخالق فيدرك قيمته عند الله ويدرك أيضا أن لا قيمة لوزناته بل ولا معنى لحياته أن لم يكن عضواً في جسد كبير يجمع الكل، له ما يتفرد به حقاً ولكن في خدمة الجسد الواحد.**

نحن نعيش في عصر العلم، وحين نتبنى المنهج العلمي لا نفعل ذلك تمشياً مع العصر أو أخذاً بالموضة. لقد توصلت البشرية بعد معاناة إلى ذلك المنهج، ولما وجد **الناس أن العلم هو الذي يحل مشاكلهم** ويوفر غذائهم وييسر لهم حياتهم ويشفي أمراضهم، تمسكوا بالمنهج العلمي ولم يفرطوا فيه ولن يفرطوا .. ولقد فندنا كل الحجج الباطلة التي تفترض التعارض بين التعليم المسيحي والمنهج العلمي.

إذن يوجد منهج علمي مسيحي كنسي ..

إن أهمية التربية السليمة التي تبني الشخصية تزداد مع تراجع دور المؤسسات العتيدة مثل الأسرة والدولة والكنيسة، فمع عجز أغلب الأسر عن توفير الحياة الميسرة لأبنائها، ومع نقص فرص العمل المتاحة، وانهزام الدخول المنخفضة أمام غول التضخم، لا بديل عن الكفاح المستمر ليشق الشاب لنفسه طريقاً ويبني مكانةً توفر له تحقيق ذاته من خلال حياة كريمة، **إن التربية السليمة هي التي تبني الشخصية المكافحة وليست المستسلمة بأي حال.** وليس

تآكل دور المؤسسات هو المشكلة الوحيدة، فإن شبابنا يعيش في مجتمع يعاني من حالة من الضباب، تيارات فكرية متلاطمة وتحولات اجتماعية بغير ضابط، وما أيسر أن يتحول إلى موقف المتفرج اللامبالي، أو إلى مسايرة أية موجة ما دام يفتقر إلى فكر خاص به.

إشكالية التعليم و التربية في الكنيسة :

١- **إن مشكلة التربية التي تسعى إلى تفجير الطاقات وبناء الشخصية المكافحة هي أنها تؤسس على فكر حر طليق، بينما العقيدة المسيحية مبنية على ثوابت**، وهنا الجهد المطلوب لمن يتحملون المسئولية، **كيف ينطلق الفكر دون إخلال بالثوابت الإيمانية والتي بدونها يصبح ما نبنيه مؤسساً على الرمال.** وقد يخشى البعض أن حرية الفكر قد تؤدي إلى البلبلة، ولكنني أعتقد مخلصاً أن واجبي كخادم ألا أتوقف عن التفكير، لأؤصّل مواقفي وأترجم فكر المسيح إلى مواقف وحياة يومية. **إن ضمان عدم الجنوح إلى أية شطحات فكرية هو أن امتحن أفكاري مع أخوتي في الكنيسة في حوار حر مفتوح في محبة دون جدل، وأن يكون لي القانون الروحي اليومي المرتب مع الأب المختبر المستنير بالروح القدس، وأن أشبع مجدداً من جسد الرب ودمه الأقدسين.**

٢- إن التعليم الديني يُبنى على غير المنظور، **كيف نعمق هذا الإيمان اليقيني دون أن يجنح الشاب إلى التواكل والإيمان السلبي**، كيف يسعى وهو مؤمن بغير المنظور في عالم منظور ؟

٣- إن اكتشاف وتنمية الوزنات في الشخصية، لابد وأن يؤدي حتماً إلى التعدد والتنوع، وهو تنوع طبيعي، ولكن **كيف نرسخ هذا التعدد في أطار التكامل في الجسد الواحد، الكنيسة جسد المسيح، ولا يؤدي التعدد إلى التنافر والتمزق ؟** ولكن لكل مشكلة حل

ملامح أستراتيجية مقترحة معاصرة للتربية المسيحية :

- **هدف الخدمة في كل عصر هو أن يعيش الناس حياة أفضل** ، وهو أمر يتم من خلال **تجديد الطبيعة العتيقة بواسطة الأسرار المقدسة** (وخاصة المعمودية والميرون والتوبة والأفخارستيا والكهنوت)، وأعمال النسك والمحبة والخدمة من خلال ممارسات ونشاطات روحية متنوعة.

- **محور البناء الداخلي للشاب هو صليب المسيح**، بمعنى أن يقبل الشاب أن يضحي بأنانيته ويهتم بالآخر وأن يقاوم أهواءه مفضلا الفرح الحقيقي النقي عن المتع الزائفة المصحوبة بالشعور بالذنب.

أولا : ملامح العصـــــر :

ما الذي استجد وفيم يختلف عصرنا هذا عن باقي العصور ؟

١- هو أولا **عصر العلم** بمعنى الكلمة، أي عصر سيادة التفكير الموضوعي والمنهج العلمي التجريبي والتغير السريع في شكل الحياة، منجزات لا يستطيع أحد أن يتجاهلها أو أن يعيش بدونها.

٢- وهو **عصر الاتصال وزوال الحواجز بين أنحاء العالم** بمعنى التأثير الرهيب للإعلام في صياغة أفكار الناس والتبشير بأسلوب معين للحياة والترويج للإستهلاك بغض النظر عن القيم، وهو أيضا عصر يتمثل فيه المنظور المسكوني بقوة، فمها فعلت لا تستطيع أن تعزل الشاب عما يدور حوله في العالم.

٣- **وهو عصر نمو الديمقراطية و اتساع الحرية** بشكل غير مسبوق (من حرية المعلومات إلى حرية التجارة)، وبالتالي تراجع المؤسسات التقليدية وتآكل سطوتها على الشاب، مؤسسات مثل الأسرة والدولة بل والكنيسة إذا صدقنا مع أنفسنا.

ثانيا: كيف نخاطب شباب هذا العصر ؟

١- أهمية تحقيق المقولات الشائعة في التعليم الديني:

ما المقصود مثلا بالحياة الروحية، وما معنى القامة الروحية، وما هو معنى الخلاص، وماذا نريد من الشاب أن يفعل عندما نحدثه عن صلاة القلب أو بذل الذات؟ ومن البديهي أن خادماً غير مختبر أو غير متعمق لن يستطيع أن يقدم هذه المفاهيم بمعناها السليم.

٢- ضرورة تأصيل المفاهيم: بمعنى تقديم حجج منطقية راسخة لما ندعو الشباب إلى الالتزام به حتى لو كنا نفترضه أمراً بديهياً. فمثلا، لماذا يجب عليَّ طاعة الوالدين؟ ولماذا تدعوني الكنيسة إلى طاعة الدولة؟ وما أهمية وجود طقس محدد لكل سر من أسرار الكنيسة؟ وما هي فاعلية الأسرار في حياتي؟ ...

٣- وضوح الفائدة التي تعود على الشاب من التمسك بمباديء المسيح:

ما هي مصلحتي في أن أرفض ربحاً يأتيني بأسلوب ملتوٍ، أو أن آأبى نجاحاً قائماً على الغش؟ ما هي مصلحتي في أن أرفض علاقة ممتعة دون إلتزامات أو مسئوليات؟ ومن الغريب أن كثيرين يستنكفون هذا ويقولون: **أليس عيباً أن نتبع المسيح من أجل مصلحة ما؟ ولا أجد عيباً في هذا فنحن لسنا أفضل من القديس بطرس حين تساءل: لقد تركنا كل شيء**

وتبعناك .. ؟! واذا برب المجد يطمئنه أن كل ما تركه سينال عنه مائة ضعف في هذا الدهر فضلاً عن الحياة الأبدية.

إن شبابنا حينما يتبع المسيح عن قناعة عقلية وحماس قلبي بأن في تبعية المسيح مصلحته الأكيدة والثابتة والكنز الذي لا يفنى ونبع السعادة والرضا الدائم، يستطيع أن يقاوم إغواءات الشر وتيارات الطمع والاستهلاك الشره التي تسود العالم، **لأنه يستمد مبادئه من قناعات في داخله،** بينما نرى كثيرين يسلكون داخل الكنيسة بشكل وخارجها بشكل آخر، لأن مواقفهم مجرد مسايرة للجو المحيط أياً كان.

٤- أهمية دراسة الواقع : واقع العالم وما يموج فيه من تيارات متنوعة، واقع المجتمع المصري وما يعانيه من تمزق فكري وتآكل في القيم، ثم واقع الحي الذي يعيش فيه الشاب وواقع الأسرة التي ينتمي إليها وظروفها الخاصة.

٥- أهمية تحليل مواقف و احتياجات الشباب:

نحن نخدم الناس لأننا نحبهم، وليس لمجرد أن يرضى الله عنا ومن البديهي أن نهتم بمساعدة الشاب على إشباع احتياجاته الاجتماعية والنفسية بل والمادية.

ثالثا : أسلوب التعليم و التربية في الكنيسة :

١- **بناء شخصية مكافحة،** تواجه الصعوبات و تثابر مهما لاقت من فشل.

٢- **بناء العقلية الانتقائية الناقدة** أمر أساسي لإمكان التصدي للديناصور الإعلامي، لذا أسلوب التعليم يجب أن يكون الحوار والاقتناع وتحريك الفكر.

٣- **توجد أساسيات في التراث الكنسي لا يدرك الشاب قيمتها إلا بعد أن يختبرها،** مثل الصلاة والسهر والتأمل والتسبيح، والمطلوب منا هو إبتكار وسائل تتيح للشاب إختبار هذه الوسائط الثمينة.

٤- لن يستمع أحد لما نقول إن لم يرى الشاب **صلة مباشرة بين التعليم وحياته اليومية،** ونحتاج إلى أن ندرس بعمق لنستطيع أن نساعد الشاب أن يرى الفائدة المذخرة في العقائد والطقوس وأثرها الناجع على نجاحه وعلاقاته وسلامه الداخلي.

٥- **توجد فائدة عظيمة في تعرف الشاب على الفنون الراقية** في كل مجال، والإلمام بمختصر منجزات الإنسان فهذا هو أساس **تكوين ثقافة حقيقية وشخصية متكاملة** تستوعب ما يدور حولنا في العالم والذي يؤثر فينا شئنا أم أبينا.

٦- من المهم أن يغلب على الخدمة **سرعة الإيقاع والدقة والتركيز واحترام الوقت، مع التجديد والتشويق المستمر** في أساليب عرض الموضوعات لتحويل الانتباه عن الوجبات المثيرة التي تعرض على الشاب خارج الكنيسة.

٧- من الصعب أن تنمو الخدمة دون إستخدام وسائل **الإدارة العلمية** من تخطيط وتنظيم وتقييم ومتابعة وتوثيق لكل ما يدور داخل الخدمة أو ما يمسها.

٨- إن الأستراتيجية المقترحة للتعليم والتربية لابد وأن تتضمن **آلية للمراجعة والتصحيح المستمر**، فالحياة تتغير والناس يتغيرون من حيث أسلوب حياتهم وطريقة تفكيرهم وأولوياتهم، **فالنمو المستمر كامن في طبيعة الإنسان لا يملك أن يوقفه أو يتجاهله ....**

أذن لابد وأن يتواجد كيان ما للتعامل مع المتغيرات والمستجدات التي تمس الشباب بأسلوب الفعل وليس رد الفعل، وبمنطق التحليل وليس بمنطق التبرير، لأن هذه المستجدات ستؤثر في شبابنا شئنا أم أبينا ومن المهم أن نراجع أنفسنا كخدام، **فليس من المعقول أن يكون كل شيء في الخدمة تمام التمام بينما ٩٠ % من الشباب خارج الكنيسة،** فهل كل هؤلاء أشرار أم أن هناك شيئاً ما يحتاج إلى مراجعة؟ ..

رابعا : تفرد التعليم والتربية في الكنيسة :

قد يشعر البعض أن الخدمة بهذا الشكل ستكون عبئاً ثقيلاً فوق الطاقة، ولكننا لا يجب أن ننسى أبداً أن لدينا كل غني المسيح وقوة الروح القدس، ولا حدود لما يستطيعه الخدام المخلصون المصلون المثابرون. إن أي منهج للتعليم خارج الكنيسة يفترض تنفيذ سياسته معتمداً على من يقومون بالتدريس والتدريب، ويحصر عمله في إطار السلوك المكتسب، أما في الكنيسة فهناك امتياز يفوق الأحلام، **فلن نجد أي نظام تعليمي في العالم يحركه الروح القدس الذي يعمل في نفوس الناس، حيث يمكن تغيير ليس المكتسب فحسب، بل والموروث أيضا، وحيث يمكن تنقية ليس السلوك فحسب بل والطبيعة الجوانية للشاب،**

فمهما فعل الناس لا يتوافر هذا إلا في الكنيسة حيث روح الله العامل في الأسرار ووسائط النعمة.

ولكن أسلوب التعليم الحالي يغلب عليه ما يفقده التأثير المطلوب وما يؤدي به إلى عكس الأهداف التي يفترض أنه يسعى إليها، وهو ما عرضناه قبلاً.

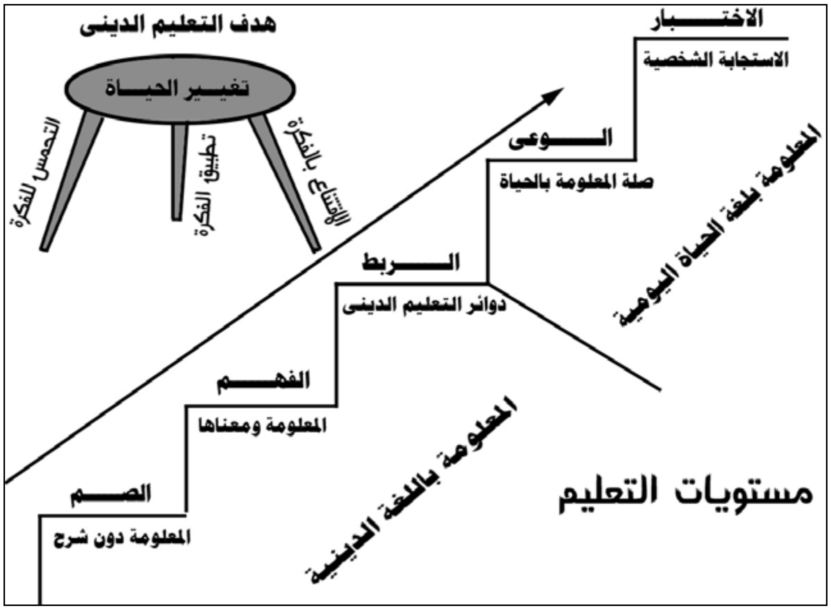

٣٢- الفلسفة العامة للبرنامج المسيحي

المقصود بالفلسفة العامة للبرنامج، **هي الفكرة الأساسية التي ينبني عليها بكل ما يحتويه من موضوعات وأنشطة مصاحبة وأساليب تربوية، والاتجاهات الرئيسية التي تتفرع من هذه الفكرة. هدف البرنامج هو بناء الإنسان، الإنسان الجديد والذي يتجدد حسب صورة خالقه،** وهو هدف السيد المسيح. الهدف هو تغيير الطبيعة العتيقة التي في الإنسان بسبب ابتعاده عن الله، إلى الطبيعة الجديدة التي قصدها الخالق، لأن المسيحية تؤمن أنه لا يمكن أن ينال الإنسان الخلاص إلا بتجديد طبيعته وهو ما يتم بواسطة الأسرار. ولكن العمل الذي يقوم به الروح القدس لا يمكن أن يتم رغماً عن الإنسان، لذا يبني البرنامج على:

١- السيد المسيح هو المحور الأساسي للبناء.

٢- عمل الروح القدس في الأسرار والكنيسة بصفة عامة.

٣- استجابة الشاب لعمل الروح القدس عن طريق وسائط النعمة.

٤- ضرورة دراسة الواقع الذي ننطلق منه، واقع الشاب وتكوينه وحتياجاته، وواقع المجتمع والعالم والعلم الذي يقدم كل يوم جديداً أفضل للإنسان.

إن هذا النمو الروحي للأنسان لا يمكن أن يتم لحساب الذات، بل لابد للنفس المسيحية أن تنطلق البذل، ولا سبيل أمامها للتغلب على الذاتية القاتلة إلا أن تنسى ذاتها في خضم خدمتها ، فبهذا تخلص وتخلص آخرين، لذا لا يمكن عزل البرنامج عن العالم الذي نعيش فيه فهذا مستحيل عملياً. إن تكوين مجتمع مواز للعالم لم يكن أبدا هدفاً، فالرب لا يريدنا أن ننعزل عن العالم، بل أن نكون ملحاً للأرض.

الاتجاهات الرئيسية لبرامج التعليم الديني

أولا: لا تغيير إلا بعمل الله في الإنسان:

- ❖ الأسرار الكنسية: فهمها وإدراك فاعليتها وممارستها المنتظمة الواعية.
- ❖ العبادة والتسبحة والأصوام، التعرض المتكرر للنفس والجسد لعمل روح الله.
- ❖ فهم الدورة السنوية للكنيسة، من حيث صلواتها وألحانها، وربطها بالحياة.

ثانيا: لا تغيير يتم رغماً عن الإنسان أو بمعزل عن إرادته الحرة:

- ❖ أن يفهم الشاب نفسه، وزناتها وعيوبها، ويدرك حتمية مواجهته للذات والأنانية

❖ الكتاب المقدس، استنارة الروح القدس في فكر الله تقود الإنسان إلى فهم نفسه.

❖ الخبرات النسكية لتراث الأباء العميق تقود الإنسان في طريق الحياة الروحية.

❖ أن المصلحة الحقيقية للشاب في اختياره للمسيح في مواجهة إغواءات الشر.

ثالثا: لا نمو ولا بناء بدون عضوية حية في الكنيسة والمجتمع:

❖ الإنسان كائن اجتماعي لا يسعد وحيداً ولا يرضيه مجرد إشباع رغباته وحده .

❖ تعاملي مع الأغيار ، يجعلني أكتشف نفسي ويساعدني على فهمها .

❖ لا يمكن أن تنمو وزناتي أو تستثمر دون طرحها لخدمة الناس دون تفرقة .

❖ مسئوليتي كمسيحي أن أكون نوراً للعالم ، ليس فقط لأنه أمر المسيح ، بل لأن ما يدور في العالم من خير أو شر ينعكس عليَّ، شئت أم أبيت. لابد إذن أن اتابع ما يهم أهلي ووطني، وما يحدث في العالم من حولي لاستفيد من خيره وأتصدى لشره، بقوة المسيح.

رابعا: حتمية وجود التوجه المستقبلي في البرنامج:

❖ ليس للنمو في المسيح حد، بل نسعى للنمو إلى ملء قامة المسيح.

❖ العالم لا يبقى على حال، والشاب الذي تلده الكنيسة اليوم سيواجه مجتمع الغد.

❖ نحن نسعى للأفضل لنا وللناس، فلا ينبغي أن نكتفي أبدا فلا حدود للأفضل.

❖ التراث جزء من عدتنا نجد فيه حلولاً لمشاكلنا، وتمسكنا به لا يعني أن نتجمد عند أشكال معينة، من هنا تأتي أهمية فرز التراث لتحديد الثوابت والمتغيرات فيه، وأن يتأسس إتجاه تكرار هذا الفرز بصفة مستمرة.

ملاحظات عامة:

- لا توجد أولوية لبناء جانب قبل جانب آخر، **فالإنسان كائن متكامل.**
- **الإنسان هو هدف أي برنامج وليس إرضاء الله** (السبت لأجل الإنسان) لذا ينبغي السعي لفهم أهمية وفائدة ممارسة أي طقس والتمسك بفكرة ما يكون لأنها تحقق مصلحة الناس وليس لمجرد أنها قديمة أو متواترة.

- وصول البرنامج إلى **احتياجات الشاب الفعلية** وليس ما نتصوره نحن كخدام أنه مفيد له، فلابد من العمل الميداني المتكرر لجس الواقع الشبابي باستمرار.
- أن يؤمن البرنامج بما يقوله، **أي أن تترجم الأفكار الكبيرة والجميلة إلى آلية يومية** في البرنامج وأساليب الخدمة والأنشطة الشبابية:

١- فإذا كان التغيير لا يتم إلا بعمل الله في الإنسان، فلابد أن يحتوي البرنامج على ما يؤدي إلى **الممارسات الليتورجية** بغزارة ورتابة وفهمها وربطها بالحياة.

٢- التغيير يبدأ من الواقع فلابد من **دراسة وفهم الواقع** على كل المستويات.

٣- وما دام الإنسان هو المخلوق على صورة الله فلابد من **احترام التراث الإنساني** والتمتع بمنجزاته الرفيعة من ثقافة وحضارة وفن وعلوم، فأيا كان مصدر الإبداع فنحن نؤمن أن محرك الإبداع هو روح الله القدوس في كل زمان و مكان.

٤- وإذا كان بناء الإنسان لا يتم إلا باستجابته لعمل الله فيه، فلابد أن ينبني البرنامج على أساس **المشاركة والحوار وتوزيع الأدوار والعمل الجماعي.**

٥- وما دام الإنسان مقصوداً به أن يكون نوراً للعالم، فالعالم بالنسبة لي هو مصر أولاً، والوطن العربي ثانياً، والعالم على إتساعه ثالثا، فأمر أساسي أن **إستوعب مصريتي:** تاريخها وآمالها، أحلامها ومشاكلها، همومها ومستقبلها وطموحاتها.

٦- وإذا كان رب المجد قد خاطب عصره بلغته ومصطلحاته، بل ومن خلال أفكاره الشائعة، فالبرنامج **ينبغي أن يعيش عصر العلم** بكل معطياته معمِّدا إياها ومعتمداً عليها كسبل للعمل أثبتت فاعليتها مثل: المنهج الموضوعي، والإدارة الجيدة، واساليب الاتصال والإعلام وتنظيم المعلومات.

المحاور الأساسية للبرنامج

السيد المسيح هو المحور الأساسي:

نعرف كل شيء عنه: خدمته على الأرض - تجسده - تعاليمه - النبوات عنه

الروح القدس هو العامل فينا:

ماهية الأسرار - طقوسها - فاعليتها الروحية - تاريخها

إستجابة و قبول الإنسان لعمل الروح:

فهم فكر الله (الإنجيل) - الصلاة و الصوم (الجهاد) - خبرة الآباء (البناء الجواني)، **فهناك خبرات لا تكتسب إلا بالممارسة:** مثل الصلاة، التسبيح، التأمل

فهم النفس:

أمراضها - وزناتها - مشاكلها - طموحاتها - حدودها - مخاوفها - سعادتها.

مسئوليتنا هي طريقنا للخلاص:

نعرف كل شيء عن المجتمع الذي نحيا فيه، فنحن مسئولون عنه، ومسئولون أمامه أن نقدم نموذجا للفرح الحقيقي، والنجاح الحقيقي، والنصرة الحقيقية.

المهارات الضروري تميتها من خلال التعليم الكنسي:

١- مهارة القراءة والتلخيص واستخلاص المعرفة من مصادرها متعددة.
٢- التمكن من المنهج العلمي.
٣- مهارة عرض الأفكار والحوار.
٤- مهارة العمل في فريق.
٥- مهارة التعلم كمشارك وليس كمجرد مستمع.
٦- مهارة التحليل والنقد وقبول النقد.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يتم تصميم كل درس من دروس التربية الكنسية في مراحلها المختلفة، كما يجب تدريب الخدام لهذا العمل الهام والخطير.

الامكانات المطلوبة:

١- مكتبة تضم المراجع الأساسية للبحث في فروع المعرفة المسيحية والإنسانية.
٢- حواسب آلية متصلة باهم مراكز البحث والدرس ودور النشر والمعاهد المسيحية.

٣- لغات أجنبية تفتح ابواب تبادل الخبرات فنحن لم نغلق على عمل الله لدينا.
٤- إدارة واعية تجيد التعامل مع الموارد البشرية والمادية.
٥- مساحات لممارسة الأنشطة في المراحل السنية المختلفة (غرف للعب وممارسة الهوايات - قاعات للبحث - ملاعب - صالات للكمبيوتر - ....)

الأنشطة المصاحبة:

- كل نشاط يساعد على تحقيق الهدف.
- كل نشاط يساعد الشاب على فهم نفسه ومن حوله والعالم الذي يعيش فيه.
- كل نشاط يقرب الناس معاً في شركة المسيح النقية.
- كل عمل محبة تجاه أي فرد من الناس على إتساع العالم هو نشاط مناسب.
- كل نشاط يقلل العبء الملقى على الفترة المحدودة للاجتماع.
- كل نشاط يساعد على تنمية القدرات المفيدة للشاب: القدرة على إتخاذ القرار - القدرة على العمل في فريق - القدرة على الملاحظة والاستنتاج - القدرة على التلخيص والتعبير عن الأفكار - القدرة على التفكير المنظم.

السجلات والتوثيق:

- سجل الخدمة: الأسماء والعناوين، الحضور، الأنشطة، الموضوعات، الافتقاد ..
- سجل الخدام: الحضور، تقديم الدروس، افتقاد الخدام، المسئوليات ..
- سجل البرامج: الأنشطة، الدورات التدريبية، الخطط، التقييم ..
- سجل الأنشطة العامة: الحفلات، الرحلات، الأمسيات الروحية، المؤتمرات ..
- سجل امناء الفروع: الحضور، القرارات، الموضوعات، المتابعة ..
- سجل المكتبة: محتوياتها وحركة الاستعارة، التزويد بالكتب والوسائل ..
- سجل الوسائل السمعية والبصرية: الأجهزة، الأفكار الناجحة، المصادر ..

ولا شك أن شبابنا المستنير قادر على التعديل والإضافة والتطوير المستمر.

حين ذهب السيد المسيح ليكرز في قرية للسامريين فرفضوه، إقترح عليه إثنان من التلاميذ أن يطلب ناراً من السماء تحرق القرية، فغضب السيد غضباً شديداً؛ وحين لاحظ الناس

أن السيد محب للخطاة، أجابهم: أن هؤلاء يحتاجونني أكثر من غيرهم، وهذا الرجل الذي ظل مريضاً ثمان وثلاثين عاماً ألم يكن لينتظر يوماً آخر بدلا من شفائه يوم السبت، ويتكرر السؤال: هل يحل الإبراء في السبوت؟ مواقف لرب المجد تعجب لها الجميع، ولكن تفسيرها سهل متى أدركنا الرؤية التي أراد الرب أن يضعها في أذهان تلاميذه، **أن ابن الإنسان قد أتى ليخدم لا ليُخدم، أتى ليطلب ويخلص نفوساً مهددة بالهلاك. أخيراً أقول لكل خادم متحمس لا يقلقك نقص الإمكانات فنحن نملك كل غنى المسيح.**

كفقراء و نحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا و نحن نملك كل شيء - ٢كو ٦: ١٠

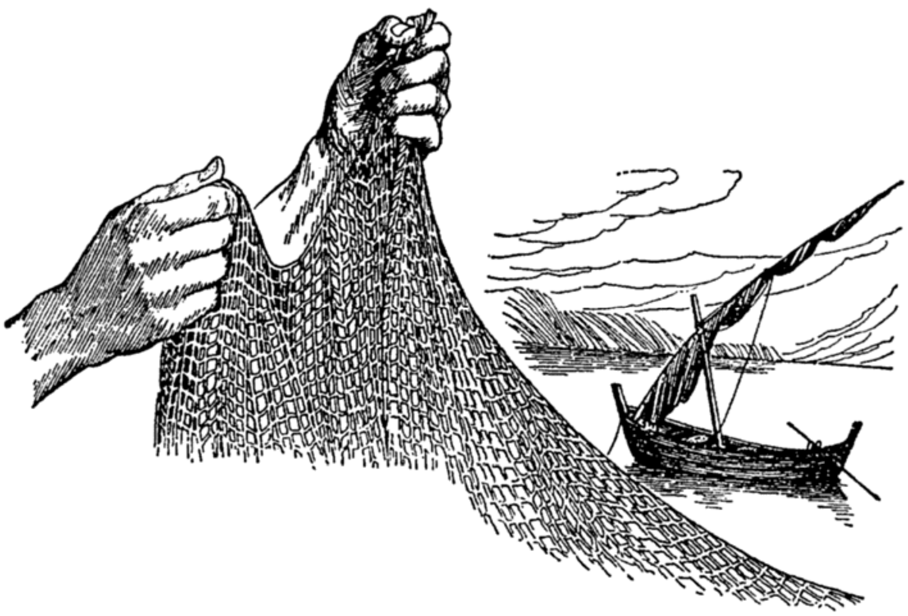

خلاصة الباب الثالث

١- إن تحقيق تقدم ملموس في الخدمة الروحية سيتم من خلال وسائل العصر:

- البحث العلمي لإيجاد حلول المشاكل الحياتية.
- الإدارة الحديثة للخدمة والقائمة على مبدأ تفويض المسئولية.
- التعامل السليم مع المعلومات جمعها وتبويبها واستخدامها.
- التفهم الكامل لفنون ووسائل الاتصال والإعلام.

٢- عمل الفريق هو الأسلوب الأمثل لمواجهة متطلبات الخدمة فضلاً عن توسيع القاعدة وزيادة الفاعلية.

٣- أهمية تواجد البعد الاقتصادي في تربية وإعداد الشباب لمواجهة الحياة.

٤- الثقافة الشاملة والفهم المنفتح للآخر، تؤسس الموقف السليم في الحياة على اتساع الوطن والعالم كله.

٥- إن الإعزاز الحقيقي للتراث يتجلي في دراسته وفهمه واستيعابه، وتنقيته مما تسرب إليه من شوائب دخيلة، ثم تطبيقه بأسلوب معاصر.

٦- ترجمة كل ماسبق في صورة خطط وبرامج وأنشطة بمنهج مسيحي إنساني.

وها هي رحلتنا تصل إلى نهايتها، لم آت فيها بأفكار ابتدعتها، بل قلت كل ما يتردد في نفوس وأذهان شبابنا الحائر، قلته بصوت عالٍ! .. ولا أدعي أنني على حق في كل ما اقترحت، بل دعوت للحوار وللتفكير بلا قيود..

ولا شك أن كثيرين قد يساورهم القلق من أننا بمناقشة هذه الأفكار قد نفتح على أنفسنا باباً تأتي منه الريح! فهل نظل مغلقين للباب الذي قد يأتي منه الريح؟ وهل نظل ساكتين ونحن نرى شبابنا ينفضون عن خبز الحياة؟ أم نفتح الأبواب لرياح تعصف برمال تراكمت، حتى كادت أن تطمس معالم البناء المؤسس على صخر الدهور؟

عرفان وتقدير

لكل من شاركني في التفكير وساهم معي بل وأمدني بمادة هذا العمل

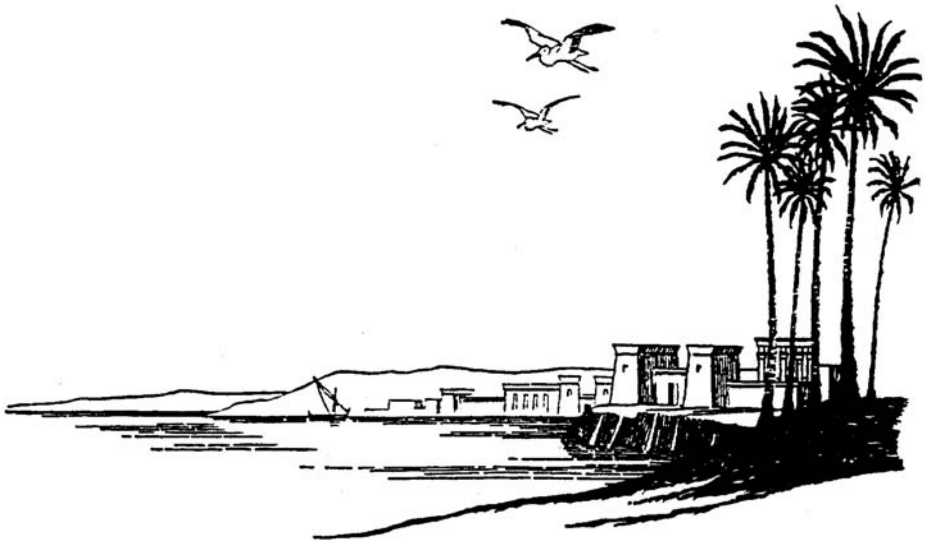

كتب المؤلف

١. تطبيقات عملية في خدمة الشباب (١٩٨٨)
٢. دراسة الكتاب المقدس في مجموعات صغيرة (١٩٨٩)
٣. كيف نواجه العصر - الطبعة الأولى (١٩٩١) - الطبعة الثانية مزيدة (٢٠٠٣)
٤. سياحة في العهد القديم - أسفار موسى الخمسة - الطبعة الأولى (١٩٩٧)
الطبعة الثانية (٢٠٠١)
٥. تاريخ دير مارمينا العجائبي بفم الخليج (٢٠٠٣) (وضع على موقع الكنيسة)
٦. سياحة في العهد القديم - السبي والعودة (٢٠٠٦)
٧. خبرات عملية في خدمة الشباب (٢٠٠٨) (وضع على موقع الكنيسة)
٨. الأيقونات القبطية في دير الشهيد مارمينا الأثري بفم الخليج (٢٠٠٨)
٩. حياة وتعليم السيد المسيح في ١٠٠ درس كتاب للشباب. ج١ :من البشارة إلى التجلي (٢٠١٠)
١٠. سياحة في العهد القديم (من البدء حتى العودة من السبي) (مع سي دي للخرائط) (٢٠١٠)
١١. الكنيسة القبطية: الأزمة والمصير (٢٠١١)
١٢. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: رؤيا للمستقبل (٢٠١٢)
١٣. الله والإنسان في سفر أيوب (٢٠١٣)

كتب بالمشاركة مع كنائس وسط القاهرة. قام المؤلف بإعداد كل الأسئلة متعددة الإجابات:

١٤. مسابقات الكتاب المقدس - ج ١ - أسفار موسى الخمسة - ٢٠٠٠
١٥. مسابقات الكتاب المقدس - ج ٢ - الأناجيل الأربعة - ٢٠٠١
١٦. مسابقات الكتاب المقدس - ج ٣ - يشوع إلى صموئيل الثاني - ٢٠٠٢
١٧. مسابقات الكتاب المقدس - ج ٤ - الأعمال إلى كورنثوس الأولى - ٢٠٠٥

أصدرت أسقفية الشباب طبعة ثانية من كتب المسابقات في الكتاب المقدس.

استكمل المؤلف باقي أسفار الكتاب المقدس (عدا الأسفار الشعرية) ووضعت على موقع الكنيسة:

www.marmina-fumalkhalig.org

كتب للمؤلف

١.تطبيقات عملية في خدمة الشباب (١٩٨٨)

٢. دراسة الكتاب المقدس في مجموعات صغيرة (١٩٨٩)

٣. كيف نواجه العصر (١٩٩١) (٢٠٠٣) (٢٠١٥)

٤. سياحة في العهد القديم - أسفار موسى الخمسة (١٩٩٧) (٢٠٠١)

٥. تاريخ دير مارمينا العجائبي بفم الخليج (٢٠٠٣) (٢٠١٥)

٦. سياحة في العهد القديم – السبي والعودة (٢٠٠٦)

٧. خبرات عملية في خدمة الشباب (٢٠٠٨)

٨. الأيقونات القبطية في دير الشهيد مارمينا الأثري بفم الخليج (٢٠٠٨)

٩. حياة وتعليم السيد المسيح في ١٠٠ درس كتاب للشباب (٢٠١٠)

١٠. سياحة في العهد القديم (من البدء حتى العودة من السبي) (٢٠١٠) (٢٠١٥)

١١. الكنيسة القبطية: الأزمة والمصير (٢٠١١)

١٢. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: رؤيا للمستقبل (٢٠١٢)

١٣.اللّه والإنسان في سفر أيوب (٢٠١٣)

تصميم و تصوير الغلاف | ماركو ماكسيموس

طوبى للمتمردين على الواقع، طوبى للساعين إلى الأفضل، فهؤلاء هم الذين يتذوقون لذة الحياة مع الخطر، مع التجدد، مع عمل اللّه فيهم وتكشفهم المستمر لجوانب الصورة الإلهية التي فيهم،"لأن كل من له يعطي فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه – مت ٢٥: ٢٩"